مجلة عصور الجديدة- المجلد 9 – العدد 1 (ماي) 1440هـ/2019م
ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

نشر وتحقيق لمخطوط "نبذة من سيرة الباي محمّد فاتح ثغر وهران " لمؤلّف مجهول –الجزء الأوّل-

Publication and Realization of the Manuscript: "Biography of Al-Bayi Mohamed Fatih Thaghr Oran" by an Anonymous Author - Part I-

صص151- 179

د.أمين كرطالي
Kartali Amine
دكتوراه علوم-تاريخ وسيط- (الجزائر)
KARTALIAMINE@GMAIL.COM

تاريخ استقبال المقال:2018/012/23 ، تاريخ المراجعة: 2019/02/04، تاريخ القبول:2019/02/11

الملخص: هذا العمل هو نشرٌ وتحقيقٌ لمخطوطةٍ موجودةٍ بالمكتبة الوطنية تحت رقم 5022، عنْونَها صاحبها هكذا : "نُبذة من سيرة الباي محمّد فاتح ثغر وهران"، وتتطرّق إلى سيرة الباي محمّد الكبير وجهوده في تحرير مدينة وهران، وأهمّ مشاريعه ومُنجزاته السياسيّة والعسكريّة والحضاريّة، وقد بيّنتُ فيه أنّ المخطوط هو مجرّدُ ترجمةٍ من الفرنسيّة إلى العربيّة لدراسة جورجيوس (A. Gorguos) حول الباي محمّد الكبير، والصادرة بالمجلّة الإفريقيّة في العددين الأوّل سنة 1856م، والعدد الثاني 1857م. وقد قُمت أثناء نشْر هذا المخطوط بالتّعليق عليه في الهامش، ومُقارنة ما فيه من معلومات مع ما هو موجود في المصادر التاريخيّة التي اعتمد عليها A. Gorguos.

الكلمات المفتاحية: الباي؛ محمد الكبير؛ وهران؛ فليتة؛ جورجيوس؛ الثّغر الجماني؛ ابن سحنون الرّاشدي، الإصبنيول؛ الجزائر؛ إبراهيم التازي؛ مستغانم.

Abstract: *This work is the publication and realization of a manuscript in the French National Library under the number 5022, in which the author addresses the biography of the great Bey Mohamed and the case of Liberating the city of Oran from the Spanish occupation. It showed that the manuscript was just a translation from French to Arabic for the study of Georgios A. Gorguos, which was published in the African Journal of 1856 and 1857, and the manuscript deals with the life of the great Bey Mohamed and his work and the opening of the city of Oran. I defined the manuscript, emptied it, explained its tasks, and comment on what needs to be commented on.*

Keywords: *Al-Bay; Mohammed Al-Kabeer; Oran; Fleeta; Georgios; Thaghr el Jomani; Ibn Sahnoun Al-Rashedi, Espanol; Algeria; Ibrahim Tazi; Mostaganem.*

إبّان الفترة الاستعمارية ظهرت عدّةُ دراسات تاريخيّة حول تاريخ الجزائر في العهد العُثماني، لاسيما بعد النّصف الثاني من القرن التّاسع حين نشطتْ الكتابة التّاريخيّة المتعلّقة بتاريخ الجزائر، ودفعت هذه الحركة الباحثين والمؤرّخين الفرنسيّين إلى ترجمة الكثير من المخطوطات والنّصوص من العربيّة إلى الفرنسيّة من أجل نشرها والاستفادة من معلوماتها.

وفي الوقت نفسه يبدو أنّه قد وُجدت نُخبةٌ جزائريّة اهتمّت بكتابات الفرنسيّين فبادرت إلى ترجمةِ ما يكتُبونه عن تاريخ الجزائر، وذلك بهدف الاستفادة أوّلا وأيضا من أجل معرفة مساعيهم وقصْد الردّ على بعْض أفْكارهم وقراءاتهم المغرضة. وهو ما يُؤكّده هذا المخْطوط الذي نحن بصدد نشْره لأوّل مرّة ولمؤلّف مجهول.

فقد تبيّن لي بعد قراءة هذا المخطوط والبحْث حول المعْلومات الواردة فيه أنّ المؤلَّفَ هو مُجرّد ترجمةٍ شبْهُ حرفيّة لدراسة جورجيوس A. Gorguos التي نُشرت في المجلّة الإفريقيّة، وتناول فيها صاحبها حياة باي وهران محمّد الكبير :(Notice sur le Bey d'Oran Mohammed el Kebir)، وتوزّعت هذه الدّراسة ضمن ثلاثة أجزاء، أمّا الجزآن الأوّل والثاني فنُشرا في العدد الأول الصّادر سنة 1856م، في الصفحات: صص 403-416، وصص454-463، بينما نُشر الجزء الثّالث في العدد الثاني من المجلّة والصّادر بتاريخ 1857م في الصّفحات صص28-46.

المخطوط: المخطوط توجد منه نُسخة وحيدةٌ بالمكتبة الوطنيّة الفرنسيّة تحت رقم 5022، وحاليا هو متاح عبر موقع Gallica، مكتوبٌ بخطّ مغربي جميلٍ وواضحٍ عدا بعضُ الكلمات القليلة، وقد تكون هذه النّسخة مسوّدة لم يتسنّ لصاحبها أن ينقّحها. ويظهر أنّ النّاسخ لم يكن قويّا في الإملاء. وعدد أوراق هذا المخطوط هو اثنتي عشرة ورقة تتألّف من وجه وظهر، كلّ وجه أو ظهر فيه حوالي 33 سطر ومعدّل الكلمات في كلّ سطر هو 17 كلمة تقريبا. وفي جوانب صفحات المخطوط هوامش هي بمثابة عناوين جانبية.

تاريخ كتابة المخطوط: لم نعثُر على أيّ معلومة في متْن المخطوط أو بهوامشه تُفيد تاريخ كتابته، ويرى الأستاذ بن عتو بلبروات أنّ المخطوط يعودُ إلى القرن التّاسع عشر إذ يقول: "ونعتقد أنّ صاحبَه قد عاش خلال القرن التّاسع عشر لأنّه يعتمد أساسا على ابن سحنون الرّاشدي، مؤلّف كتاب الثّغر الجماني في ابتسام الثّغر الوهراني""[1].

ومؤكّدٌ أنّ الأستاذ قد اطّلع على المخطوط لكنّني أجزم أنّه لم يقرأه كلّه، وإلّا فإنّ مؤلّف المخطوط لم ينقل عن ابن سحنون الرّاشدي مُباشرة، بل عملُه هو كما سبق وقلنا مجرّدُ ترجمةٍ مختصرة لما كتبه جورجيوس A. Gorguos حول الباي محمّد الكبير: (Notice sur le Bey d’Oran Mohammed el Kebir)؛ فالتّشابه الكبير بين العملين يؤكّدُ أنّ أحدهما ترجم عمل الآخر، ويكفي الواحد منّا أن يقارن بين العملين ويكتشف ذلك بنفسه، وكُنتُ سأميل إلى كون جوريوس هو من قام بترجمة المخطوطة من العربيّة إلى الفرنسيّة، لولا وجود أدلّة قويّة تُؤكّدُ أنّ صاحب المخطوط هو من ترجم عمل جورجيوس وإليكم أهمّ هذه الأدلّة:

1- صاحب المخطوط نقل عن كلّ من أسترهازي (M. Walsin Esterhazy_Louis) في كتابه (De la domination Turque dans) ومارمول في كتاب إفريقيا، ونُلاحظ أنّ نفس النصّوص المأخوذة من هاذين الكتابين، والتي استشهد بها المؤلّف قد استشهد بها أيضا جورجيوس.

2- صاحب المخطوط نقل الأبيات الشعريّة والنُّصوص التَّاريخيّة بالمعنى وليس باللّفظ، والمعاني التي ذكرها هي ترجمة حرفيّة من الفرنسيّة إلى العربيّة لما هو موجود في دراسة جورجيوس Gorguos، فلو كان المؤلّف قد اعتمد على ابن سحنون الرّاشدي ونقل عنه، لنقل الأبيات بألفاظها.

3- صاحب المخطوط أكْثَر من ذكر كلمة "الجماني" التي قصد بها اختصار عنوان كتاب ابن سحنون الرّاشدي: "الثّغر الجُماني في ابتسام الثّغر الوهراني"، وهو تقليد لجورجيوس الذي عبّر عن الكتاب بكلمة "El djoumani ".

4- إذا قمنا بعمل مقارنة بين عمل A. Gorguos وما ذكره صاحب المخطوط نجد أنّ الأوّل كتابته جاءت وافيّة ومعانيه مضبوطة وأفكاره مرتّبة وموسّعة بخلاف الثاني الذي اجتهد في الاختصار والتّرجمة، وفاتَه نقلُ الكثير من المعلومات المهمّة على غرار

ردمد 2170-1636 ISSN 2600–6324 EISSN الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

ترجمة محمّد بن عمر الهواري التي ترك لها فراغا بقدر خمسة عشر سطرا تقريبا بخلاف A. Gorguos الذي ترجم لهذا العلم.

5- من الأدلّة أيضا على أنّ صاحب المخطوط مُجرّد مُترجم وناقل عن A. Gorguos ما نجدُه من حرص على ذكره للتاريخ الميلادي مقرونا بالتّاريخ الهجري، وهي نفس التّواريخ الموجودة في دراسة جورجيوس.

6- وقوع المؤلّف في نفس الأخطاء التي وقع فيها جورجيوس أثناء ترجمته لعبارات ابن سحنون الرّاشدي كما سنبيّنه في كذا موضع.

معلومات حول المؤلّف: إنّ قراءتي للمخطوط جعلتني أُدرك أنّ المؤلّف كان مُتقنا للّغة الفرنسيّة بينما كان مُتوسّطا في اللغة العربيّة لذلك هو يستعمل كلمات وأساليب ولهجات عاميّة قريبة من لهجة سكّان الغرب الجزائري، وواضحٌ أنّ المؤلّف لم يكن مطّلعا على المصادر العربيّة التي نقل عنها جورجيوس إذْ اكتفى بترجمة ما ترجمه جورجيوس دون أن يكلّف نفسه عناء البحث في هذه المصادر العربيّة لنجد أنفسنا أمام ترجمةٍ للمُتَرْجَم.

عملي في هذا التّحقيق: بهدف إنْجاز هذا العمل قُمتُ أوّلا بتفريغ المادّة العلميّة وكتابتها إلكترونيا، ثمّ أَعدْتُ تنظيمها وترتيبها حسب الأفكار الفرعيّة، واقتبست أكثَر العناوين الجُزئية من تلك العناوين المكتوبة في الهوامش الجانبيّة لورقات المخطوط، بينما وضعتُ عناوينَ أُخرى من اجتهادي ودلَّلْتُ عليها برمزٍ يبيّن ذلك. وحاولتُ أن أعرّف بالأعلام والأماكن وأوضّح بعض الأمور الغامضة في الهوامش. وقد لجأتُ إلى استعمال بعض الرّموز المساعدةِ على قراءة المتْن؛ فالعَناوين التي اقتبستها من الهوامش كتبتُها بألفاظها ووضعتُ قبلها رمزـ وتحتها خطّ، أمّا العناوين التي اجتهدتُ في وضعها فجعلتُ قبلها هذا الرّمز ● وتحتها خطّ. بينما صحّحتُ بعض الكلمات وجعلتُها بين قوسين بعد الكلمة الأصْلية. أمّا الكلمات والعبارات التي تحوي أخطاء ولم أقم بتصحيحها فوضعت بعدها (كذا). ورمزتُ إلى رقم الورقة من الخطوط برمز/و/ إن كانت وجها و/ظ/ إن كانت ظهرا مع تبيين رقم الورقة. وأمّا الفراغات فرمزت لها هكذا (ف) محدّدا في الهامش قدر الفراغ.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

قيمة هذا العمل: يبقى هذا العمل يحوي معلومات دسمة حول الباي محمّد الكبير وأعماله العسكرية وإنجازاته الحضاريّة، ووضع بايلك الغرب قُبيل تحرير وهران، ولغَةُ المؤلّف يمكن الاستفادة منها في الدِّراسات اللِّسانية والمباحث المتعلِّقة بتطوُّر اللّهجة العاميَّة الجزائرية والوهرانية على وجه الخصوص.

النصّ المحقّق

بسم الله الرّحمن الرّحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليما، عَوْنُك ياالله على التّمام بِجاه سيّد الأنام عليه أفضل الصّلاة والسّلام

"نُبْذَةٌ من سيرة الباي محمّد فاتح ثغْر وهران رحمه الله آمين"

سيرة الباي عصمان أب الباي محمّد وسنة وفاته: إنّ الباي الملقب عند العرب محمّد الأكحل[2] الذي كان يجب عليهم أن يُسمّوه الكبير لشجاعته وحُسْن سيرته هو ابنُ عصْمان الكُردي[3]،الذي كان أوّل الأمر حاكما بمليانة[4]، ثمّ ارتقى إلى منصبْ باي تيطري[5]، وكان منصب هذا الوطن وقتئذٍ أعظمَ المناصب، ووليُّه أكرمُ الوُلاة، لأنّه كان هو المُتقدّم عليهم في كلّ محفل وقع عند الباشا في المواسم وغيرها، فيقال لهُ باي البايات. ومُراد الأتراك في تعظيمهم باي تيطري عن غيره لأنّه أوّلُ وطن أذْعن لطاعتهم مع ضيق وضعف غرامته وضِعة مشايخه.

هذا وإنّ جميع بايات تيطري ليس لهم مستقر معيّن، وكانوا يهتمّون كثيرا من دنوّهم إلى كُرسيِّ مملكة الجزائر[6]، حيثُ إنّهم أقرب من غيرهم للباشا، ولأنّهم كانوا تحت نظَره، وكان يَشُقّ عليهم توفيرُ الأموال الغزيرة في المدّة القليلة، لأنّها هي الحصْن لسطوتهم، وبها نقست(نقُصت) مظالمهم، وتُقضى مآربهم، ولا شكّ أنّ رغبة المال وحبَّ الرّشوة المَطبوعة على قلب البشر كانا عُمدة لهم في صولتهم[7] هذا سبب سعيهم في الانتقال إلى عمالة الشرق أو منصب عمالة الغرب مع ما لهم من الحُرمة المتقدّم ذكرها وفضل رعية تيطري عن غيرها. ويُحتمل أنَّ هذا البَاي عصمان الكردي لمّا تعذّر عليه ذلك وأراد الخروج من منصبٍ إلى منصب آخر إشتغل بجمْع الأموال من الغوازي التي كان يتحرّك إليها في وطنِه، وقبْض الهدايا البالغة ليشتريَ بها الحُرمة من ديوانِ الجزائر إن احتاج إلى ذلك. ومع ذلك كان هذا الباي راغبًا في الفتنة، و مُكثرا للحركة فمن كثرة حركته للغزو وسعْيهِ في القتال أنّه مات بغزوة أولاد نايل[8]، وقبْل أن يرتقي

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

إلى منْصِب باي كان اصطحب (كذا) مع رجل يُسمّى إبراهيم صُحبةً بالغة، ولذلك تولّى مكانه في حكم مليانة، وبينما ذلك بلغ شأنُ إبراهيم المذكور في الفخر وعظم في أعْيُن النّاس والحُكّام فولّاه الباشا باي في تيطري بدلا من صاحبه المتوفى عُصمان[9]. وترك عصمان ولدين أحدهما محمّد الأكحل الذي تقدّم ذكره وثانيه محمّد الرّقيق الملقب بوكابوس[10]، وكان عصمان أوصى إبراهيم على ولديه وعلى أهل بيته وصية كلّ ملّة. فاستوصى بهم خيرا واجتهد في تربيتهم وحفظهم بنية مكافية الخير الذي ناله من أبيهم. محمّد الذي افتتحنا الكلام فيه صار هو المحبوب عند إبراهيم الموصَى عليهم والمفضَّل على أخيه، ثمّ ازداد قُرْبا إليه بالمُصاهرةِ حيثُ زوّجَه بنته في سنة ثلاثة وسبعين ومائة وألف الهجرية المطابقة لسنة 1757 أو سنة 1760 مسيحية[11].

ولاية محمّد قائدا على فليتة: كان حسن بايْ[12]بولاية الغرب، ولمّا دنّش[13] للجزائر لرفع المطالب المخزنيّة التي قبضها من رعيّته أحسّ بكلام السّوء فيه عند الباشا[14] لأنّه رأى ما لا يُرضيه عند المقابلة معه، ولو كان حصل له الإذن من الباشا في الرجوع إلى رعيته، فلم يمْنَعه ذلك بل إنّه هربَ والتجأ إلى وهران، حيث كانت في حكم الإصبنيول[15]، فالتزم الباشا أن يُولّيَ وليًا(واليا) آخر فاختار إبراهيم المذكور وولّاه باي[16]. فلمّا انتقل إلى منصب ولايته أخذ معه صِهْره محمّد الأكحل فلم يكن إلا قليلا وإذا به شاهد منه ما يُرضيه من السّياسة والعقل اللّائقَيْن بالحُكْم فجعله قائد فليتة[17]سنة ثمانية وسبعين ومائة وألف الهجريّة المطابقة لسنة 1764مسيحية.

توليته خليفة على الناحية الشرقيّة من عمالة وهران: وكان منصب قيادة فليتة أعظم المناصب فيساير عمالة وهران/1و/ كقيادة مليانة التي هي أشرف المناصب في عمالة الجزائر، فظهر منه في أيَّام ولايتِه على فليتة الحزْم والثَّبات في حكمه فتحقّق الباي إبراهيم فيه أنّه أهل للارتقاء إلى ما هو أعظم من منصبه، وفي سنة اثنين وثمانين ومائة وألف الهجرية المطابقة لسنة 1768 مسيحية[18]سمَا في ولايتِه خليفةً على يده[19]، ثمّ شارك في الحكم معه، وبعد مدّة قليلة أعْطاه حكم الشَّطر المشرقي من رعيَّته، ولمّا أشْرف على الأمور المهمّة، وعَلَتْ سَطْوتُه عَرَف قدْر الحُكْم وتصَرُّفَاته فكان العربُ[20] يُحِبّونه لكرمه، ويَخافونه لشجاعته، وقد كان أسَّس تأسيسا ثابتا للصّولة التي بها أعلى المراتب.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

هجوم الإصبنيول على الجزاير وحضور الباي محمّد في تلك الغزوة 1189هـ: ثمّ إنّ الجُماني[21] ذكر أنّ مَوت الباي إبراهيم في سنة تسعة وثمانين ومائة وألف هجرية مطابقة لسنة 1775م مسيحية[22]؛ فإذا كان هذا التّاريخ صحيحا؛ لا شكّ أنّه مات في السّنة التي هجم فيها جيش الإصبنيول تحت أمر الإرلاندي على بلد الجزائر[23]، ورجع خائبا. ومن الكلام المتواتر في ألْسنة العرب أنّ الإصبنيول وقتيذ نزل قُرب الحرّاش[24]، وبنى حينها مترسا عظيما طوله ألْف خُطوة[25]، ونصب عليه مدافع مُحكمة شديدةٍ، وفي يوم السّبت العاشر من جمادى الأولى خرج من مترسه، وتقدّم لمدينة الجزائر فوقع القتال بينه وبين عسكر الباشا قرب البلد، فلم يكن إلا قليلا وإذا به رجع مهزوما، وتحصّن بمتْرسِه. ثمّ إنّ الجماني المذكور زعمَ في تاريخه، وأن هذه الوقعة سُميَّت بوقعة الحرّاش؛ فمات من الإصبنيول فيها ثمانية آلاف، وجرح نحو الثلاثة آلاف جُرحا قتيلا[26].

كذلك زعم الإصبنيول بقوله أنّ المسلمين جعلوا السُمّ في رصاصِهم، والحالةُ أنّ الإصبنيول كان حفرَ بداخل مترسه بئرا، واستخرج منه ماءً عذْبًا، لكنّه كلُّ من شرب منه مات. ولمّا تكاثر عليه عسكر المُسلمين هربَ ليلا إلى مراكبه، وترك جميع ثقلته ومئونة جيشه مع سبعة عشر مدفع نحاسٍ أبْقاها في منزل محلته.

ثمّ إنّ محمّد المذكور خليفة الباي إبراهيم في الشَّطر الشرقي من عمالة الغرب كان حاضرا بتلك الوقعة، وأظْهر الشَّجاعة والثّبات أمام الباشا وقتئذ، وما وضعت الهزيمةُ في جيش الإصبنيول، وأشهد عسْكر التّرك عليه إلّا بصدمته الشّديدة مع خيالته على العدوّ حسبما ذكره السُّلطان ارسترهازي في تاريخه على حُكْم التُّرك بإقليم الجَزائر[27].

ثمّ لمَّا حصل تفريط من الباشا في مكافآت جيشه بهديَّة يجْبُر خَواطرهم بها بعد الظفر، عزم العسكر على الهُروب إلى تونس، عَسى يجدُوا فيها حاكما أكرم منه، ولمّا بلغ ذلك إلى محمّد الأكحل تحقّق بغضب العسكر وعلم ما أخمروه بنيتهم، فجدّ في أثَرهم ولقِيهم بحوش صولة، ويحتمل أنّه هو الحوش المسمّى الآن براس السّوطة في متيجة[28]؛ ففرّق عليهم أموالا وردّهم إلى مكانهم.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

في 1189 ومات الباي إبراهيم: ولمّا مات الباي إبراهيم طمعت رعية الغرب في ولاية محمّد الأكحل عليهم، وبالحقيقة أنّه أهل لذلك لما ثبت من خِصَالِه الحميدة (كذا)، لكنْ كانت المناصب في دولة التُّرك لا تُعطى إلّا لمن له أموالٌ غزيرة، فلذلك وقف خليل[29] على شراء منصب باي الغرب، وبذَل الأموال الجزيلة ليبلغ مقصودَه، وأمّا محمّد فإنّه لزم المُكث بمنصبه خليفة راجيا من الله وقت الإجابة، فما كان إلّا قليلًا، وإذا بخليل توفي سنة ثلاث وتسعين وماية وألف هجرية المُطابقة لسنة 1797مسيحية فحينئذ أدرك مرغوبَه، وبلغ مُرادُ الرعيَّة فيما كانوا يتَمنَّونه من ولايته عليهم، فتولّى بايا في أم العساكر[30].

في 1193 ومات الباي خليل في 1193 تولية الباي محمّد بأم العساكر وساير عمالة وهران: ولمّا استقرّ بمنصبه تحّقق للرعيّة ما كان ممدوحا به محمّد الأكحل من العقل والسياسة على وفق ظنّهم، فثبتت خصاله الحميدة في جميع المُهمّات، واشتهر بالإكرام والهمّة العالية، وكانت مداخل العمالة وقتئذ عظيمة، فكان لا يصرفها إلا في المصالح المفيدة.

المجاعة التي في زمنه واستنباطه تحصين أمّ العساكر كرسيّة ذلك: غَيْر أنَّه في ابتداء ولايته وَقَع القَحْطُ الشَّديد بإقليم الجزائر[31] خصوصا بعمالته، هذا ولمّا كان ادّخر حُبوبا كثيرةً أخرجها للأسْواق عندما غلت الأسْعَار، فانخفضت وقتئذٍ، ولولا ذلك لهلك الكثيرُ، وممّا كان يُعدّ من فضْله فتح مطبختة لضُعفاء أم العساكر، وكان يَكسي العُرات(كذا)، ويُخلِّصُهم من مُصيبَة البرْد الشّديد الذي كان في تلك السّنة، ومع هذا لم يَكُفّ النَّاس في مخصوصاتهم، فاستنبط بناءً لتحصين مدينة أمّ العساكر، وأمر النّاس بالخدمة، فحصَّنوا المدينة غاية[32]، واكتفوا بأُجرة الخِدمة لمعايشهم من القَحْط، ومن جُملة الفضائل التي جاد بها وقوفُه على زيادة بناء حصن بقوسين قبالة جامع السّوق الكبير[33] في مستغانم، وتجديد ما اندثر من بناء الجامع العتيق[34] مع زيادة في وُسعه(كذا) وجلب إليه الماء/1ظ/، وأقام فيه خمسةَ أعْيُنٍ للوُضوء بعد أن كان مفْقودًا منه، وجعل فيه مِنْبرا عظيما أفضل من منبره الأوّل، وشَرَع بعْدَ مدّة قليلة في بناء المسجد الذي هو على اسمه.

ثمّ إنّ الشُّعراء الذين مدحوا هذا المسْجد إنْ كان حقًّا ما ذكروه فهو أعْظم مَساجِد تلك البلْدة، ولمّا كمل بناؤُه أنشد الجُماني قصيدة تتضمّن شُكره[35]. وكما أنّ عُلماء العرب يتكلّمون بقصيدة أحمد بن محمّد بن علال من بلد قرومة[36]، التي مدح بها محاسن ذلك المسجد المُتقن في جميع تفصيلاته، ثمّ ختمها بتعظيم قدر الباي محمّد، وقد بالغ في فَخْرِه وعلوّ مقامِه زيادةً على الأبطال المتقدّمة قبل الإسلام بأعلا خُطوة، وكان تمام بنائه في سنة ستة وتسعين ومائة وألف هجرية المطابقة لسنة 1861مسيحية.

وكما جعل قناطر وأسوار وأبراج مشيّدة ومحصّنة بالمدفع، وجلب الماء للبلد الجديدة والقرية المنسوبة للمولى سيدي علي بن مُحمّد في عدّة أعين[37]، وقد كان الماء مفقودا فيهما، وكما بنى سوق مستغانم القديم[38]. وبنى الفُندق المعروف بفندق الجديد، ثمّ حبّسه على ذلك الجامع الأعظم حين كبُر شأنه وعمر. وكما وقّف لإصلاح المدرستين المشهورتين بتلمسان من سالف الزّمان حين كان حاكما بتلك العمالة[39]، وبحث على الأماكن المُحبّسة عليها لأنّ منافعها كانت تبدّلت وتغيّرت، فوقف على إحياء هاتين المدرستين حياةً جديدة لتدريس الفقه واللّغة، فردّ الحبس إليهما، وكما بنى في الجزائر ديارًا عظيمة لوُكلائه، وشَيّد في مستغانم دارا كبيرة لأولاده. وقد ذكر المؤرخون حُسنَ سيرته وبالَغَ المادحون في شُكره وقت بنائه البرج العظيم الذي شيّده قرب أبواب أمّ العساكر والبستان الذي حوله المسمّى كشرو[40].

فرقة عشعاشة من المفسدين ولعلهم الأعشاش وأنّهم الفرق الذين أدخلهم الطّاعة كرهًا الباي محمّد: وفي ذلك الوقت كان حذو إيالة المغرب من جهة غرب عمالته فرقةٌ من المفسدين تسمّى عشعاشة[41]، واقفة على التعرّض للنّاس بالنّهب والقتْل؛ فيا ويح القافلة المارّة بتُرابهم! ويا ويح الغريب المعترّ الذي يلتجئ إلى ديارهم! فينْهبونه ويقتلُونه لا محالة، ولمّا شاع سُوء فِعلهم وقع الرُّعب في قلوبِ النّاس حقيقةً لغلظتهم، وخُبث سيرتهم، وسترى من ذلك وقعتين؛ فأمّا الوقعة الأولى: أنّ مُسافرا تأخّر في سيره وأظلم عليه الليل؛ فظهر له أن يلتجئ إلى ديارهم، فقصد خيمةً منهم؛ فتلقاه ربُّ الخيمة وأكرمه بالضّيافة، ولمّا أصبح الصّباح وأراد الانصراف وقفَ عندهُ صاحب المنزل، وقال له: "إذا عرف أهل هذا الوطن يُجرّدوك لا محالة، ولا يمكن أنّك تخْلُص

منهم حينئذ، أنا أولى منهم بذلك فلابدّ تنزع ثيابَك وتترك أتانك"، شرع حينئذ في سلب حوايج ضيفه.

وأمّا الوقعة الثانيّة: فإنّ رجلا ثم كان من هذه الفرقة الفاسدة يُظهر الزُّهد في الدنيا، ويعتقد في نفسه الصلاح، لكنْ له أولادٌ في غاية الخبث فرأى في ذات يوم قافلة تسيرُ في الطّريق، وكان أولاده راقدين قُربه؛ فخشي فواتَ الفُرصة في تلك الغنيمة التي رآها، وكيف ينبّه أولاده ويُيْقضُهم(كذا) من المنام مع أنّه رجلٌ صالح، فاحتال في أمره ونادى بأعلا صوت: "يا رب بجاه الصّالحين نطلب منك تُخلّص هذه القافلة من يد أولادي المفسدين"، فتيقضوا من حدّة حسِّه، وقالوا له: "ما بك تصرخ هذا الصراخ المُفْزع؟"؛ فقال لهم: "كنت أطلب من الله تعالى يُنَجّي هذه القافلة منكم يا أولادي"؛ فتنبّهوا إليها حينا، وتسارعوا لأخذها غنيمةً[42].

في المهاية وأولاد علي بن طلحة من أهل الفساد: فيستحقُّ لحكام ذلك الوقت أن يُعاقبوا هؤلاء اللّصوص بعقوبة يُضرب بها المثل ليبقوا عبرةً لغيرهم، وكان الأمرُ كذلك، فإنّ الله قد انتقم منهم بنزول غازية عليهم شتّتت شملهم؛ فمنهم من مات ومنهم من هرب حتّى لم يبْق لهم خبر ولا أثر، وكذلك فرقة المهاية وأولاد علي بن طلحة[43] كانوا يميلون إلى النّفاق؛ فنزلت عليهم غازية أخربت ديارهم.

في الحشم كانوا مفسدين: وفي زمن البايات المتقدمين قبل الباي محمّد المذكور كانوا الحشمُ[44] في غاية النّفاق، وكُلّما قدِمتْ إليهم محلّةٌ كَسروها؛ فلذلك ازدادوا غلظة ووقاحة، وظهر منهم لصوصٌ يتعرّضون للنّاس في الطّرق؛ فعجز البايات عن جبر هذا الحال المهمّ، ولمّا تولى الباي محمّد مهّدهم وأدخلهم تحت الطّاعة، ثمّ جعل بعد ذلك كُتُبَهم مخزنا عنده، وكان يولّي ويعْزل منهم بالتصرّف الكامل، ولم يقدر منهم أحد /2و/ يرجع راشد ويتعنّت.

فليتة كذلك: وكذلك عرش فليتة فإنّهم كانوا منافقين، وكلّما خرجت إليهم محلّة واجتهدت في تدميرهم خمدَ فسادُهم؛ فإذا رجعت المحلة رجعوا إلى فسادهم، وقد ذكر الجماني في تاريخه أنّ الباي محمّد لما ترادف عليه بالغزو مهّدهم وأزال صولتهم، وصار يقْبِض منهم الغرامة أسْهل ما يكون.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

الأحرار كذلك: وكذلك قبيلة الأحْرار[45] فإنّها كانت دائما تجزع من المطالب المخزنية، وتمْتَنِع من أدائها وما ترك لهم الباي سبيلا إلى الراحة إلى أن مهّدهم ولزّمهم بما يلزم كافة النّاس.

حميّان وسعيدة والعمور كذلك: وكذلك حميان[46] وسعيدة وعمور وكافة أهل راشد[47] لمّا علموا شدّة صولته، وعلموا أنّهم لا طاقة لهم على دفعه أذعنوا للطّاعة، والتزموا دفع المطالب المخزنية، فملأ الباي محمد خزنته من بلادهم، لأنّه كان يقْبض منهم كلّما طلب بلا كلفة.

1199هـ وقعة الأغْواط التي أوقعها بهم الباي محمّد وكذلك عين ماضي: لكنَّ أهمَّ القِتال الذي وقع في زمنه وقْعةُ الأغواط التي صارت في سنة تسعة وتسعين ومائة وألف هجرية مطابقة لسنة 1786مسيحية، وقد كان أحد كُتّابه اسمه أحمد ابن هطّال[48] قيّد تفصيل تلك الوقْعة بخطابٍ مُسجّعٍ، وكلّما مرّ هذا الباي على بلد إلا وأدخل أهلها في الطاعة، وشرعوا في دفع المطالب السنويّة، وكما أن أهل عين ماضي[49] جاءوا مُسْرعين إليه، منقادين إلى الطاعة، لكنَّه لمّا رجع إلى أمّ العساكر رجعوا عمّا كانوا عليه من الطّاعة، وامتنعوا من أداء الغرامة واللّوازم المُشْتَرطة عليهم؛ فعند ذلك حرّك الباي إليهم محلّته، ووقع بينهم شديدُ القتال؛ فأظهر أهل عين ماضي العِناد الكامل واجتهدوا في دفعه، ثمّ لمّا عظُم القتال، وانقضى البارود لقوم الباي فتضايق أمره، وبينما ذلك إذ وردت عليه نُقلةُ بارودٍ من الجزائر؛ فبهذه المعونة التي جاءته بغْتةً لنصرته، كانت له نُصرة، فهجم على البلد بقوة ودخلها في ذلك اليوم قبل غروب الشمس، ثمّ لزّم أهْلها بدفْع الخطيّة مع الغَرامة السَّنويّة التي كانوا امتنعوا من أدائها[50].

غزوة أولاد الشريف حين كان خليفة: ثمّ إنَّ جميع العرب يزْعُمون وأنّ الباي محمّد له سعدٌ وإقبال في جميع حركاته، ومن المعلوم أنّ الإقبال يزيد النَّاس خشيةً مع ما اشتهر به من الشّجاعة. غير أنّ مرّة واحدةً في ابتداء أمره حين كان خليفةً خانهُ إقبالُه، وكادَ أن يخيبَ سعْيُه، وذلك أنّه ذات يوم غزى على أولاد الشريف[51] الذين كانوا عُصاة، ولمّا سمعوا بحركته نبّهوا على الأعراش المُجاورة لهم ففزِعُوا إليه من كلّ جانب، وكانت محلّتُه بالنّسبة إلى جيش المنافقين مقدارَ النّصف منهم، فثبتوا في

معركات (كذا) مترادفة، ولمّا شاع الخبر بذلك ازدادت جموعُ العرب؛ فاهتمّ الباي وتحيّر في أمره لأنه أدْركته مخافةً من جيش العدوّ، وظهر له الرّجوع أفضل من التقدّم لكنّ الباي محمّد لم يُوافق على ذلك، بل إنّه اختار الثّبات في مكانه، ونزل بمحلّته في غوط منخفض بجوانبه أماكن مرتفعة[52]، لما يعْلمه من عادة العرب وأنّهم لا يتجاسَرون على المحلَّة وهي نازلةٌ لأنّها تظْهر لهم كالبرُج المُشَيّد، ويعْلَمون أنّ العسْكر يُقاتل في حِصنه إلى أن يفْنى جميعا، كما يعْلمون أنّهم إذا هَجموا على المحلّة وأخذوها لم ينس باشة الجزائر ذنْبهم، ولم يُهمِلهم من العقوبةِ بل يخْلف الثأر منهم أضعاف ما فعلوه[53]؛ فلذلك افترق العرب عن آخرهم، واختاروا الرّجوع لديارهم[54].

ولمّا طَوّع الباي محمّد الأعْراش الكثيرة التي بناحية القِبْلة ازداد غناء من محصولاتها، وكانت الأموال التي تفضُل دائما بخزنته زيادة عمّا هو مُلتزم بدفعه لباشة الجزائر في أوقات معيّنة، يصرفها في مآربه كما شاء.

إحسانه للطّلبة ولمؤلّفي وقته الجماني وغيره الشّعراء: وممّا يُحمد من فعله أنّه محسنٌ لطلبة العمالة؛ فكان يَحميهم ويتكرَّم عليهم بالجزاء لأدنى سبب، وقد يُوجد في كتاب الجُماني أنّ الباي محمّد أنعم على هذا المؤلف بمائة دينار ذهبٍ جزاء لما جمعه من فصول في علم الطب ومسائل أخذها من القاموس وغيره[55]، وأنعم على الشاعر القرومي ابن علال بمائة محبوب[56]ذهب، مع حُلل تُساوي نصْفَ هذا العدد حين قدم إليه بأمّ العساكر ليضَع بين يديه قصيدته الأولى في مدح بناء الجامع الأعظم[57]، والثّانية على فتح الأغواط. كما أحسن مرارا لعدّة طُلبَا[58]، ولذلك اجتهد النّاس في مدحه نظما ونثرا، وقد يُوجد في كتاب الجماني بعض الأشعار منها ما هو لرجل من البليدة يُسمّى محمّد بن الطّليع[59]، ومنها ما هو/2ظ/ لرجل من تلمسان يُسمَّى محمّد[60] في مدح هذا الباي، ثمّ إنّ الجماني كان أهدى تأليفه المعروف في الأدب المشهور بعقود الخازن[61] للباي محمّد، كما أهدى له أيضا الشّرح الطويل المعروف بشرح العقيقة[62] حين كان واقفا على تمهيد عمالته وهران، ومما كان مُعتني به هذا الباي أنّه كلّف مصطفى بن عبد الله[63]كبير الطُّلبا الذين استقروا في يفري[64] بتأليف كتاب في الحديث[65].

مجلة عصور الجديدة- المجلد 9 – العدد 1 (ماي) 1440هـ/2019م
ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

والمتّفق على لسان أهل عصْره أنّه لم يُفَرّط في جميع العُلوم التي يتنوُّر بها العقل، وكانت له خزانة مملوءة بالكتب العديدة المختارة، وله كُتَّاب في غاية الفِطْنة والخطّ الجيّد ينْسَخون له الكُتب المشهورة، وكان لم يبال ببذل الأموال في شراء الكُتب الثّمينة، وله رغبةٌ شديدة في الحضور لمجالس العلماء والإنصات للمحاورة التي تقع بينهم في مسائل العلم؛ فإذا فرغ من اشتغاله اعتزل واعتكف على مطالعة كتبه فيأخذ منهم كنوز العلم ودقائقه، ولذلك كان له علمٌ بتواريخ العرب من زمن الجاهلية، ويعرف الأشياء المتواترة والأمور المهمّات، ويعلم الأخبار والنّوادر وسيرة السّلاطين والأبطال المتقدّمين، حتّى قيل إنّه كان لم يترك شيئا من العُلوم، وكان ماهرا في فنّ الطبّ وله رغبةٌ في علاج أمْرَاض الفُقراء، وكان يحبُ طبخ الأدوية التي كان يشيرُ عليها في محله، ثمّ يقْسمها بين الفقراء المرضى بلا ثمن في سبيل الله.

وقد ذكر الجُماني أنّ عمل هذا الباي امتثالا لعمل النبي عليه السّلام حيث أنّه كان طبيب صحابته، وأنّه كان يُداوي نفسه بيده مهما سقم لأنّه عليه السلام كان عالما بذلك، ولكثْرة الأسْرار التي اطّلع عليها النبي صلى الله عليه وسلّم السّلام (كذا) في علم الأبدان أن ألّف الشّيخ عبد اللطيف كتابا سمّاه بالمنهل الراوي والمنهج السّوي في الطب النبوي[66]. ثمّ إن هذا الباي كان يحبُّ الخيل، وله أروية عامرة بالخيل المشملة من (كذا) أصول أعتاق الخيل، وكان متولّعا بالصّيد والقنص، وله مكان معدّ لطيور الأحرار يُعْجب النّاظر؛ فكان العرب يرون إقامته بعين الاعتبار، ولا يخفى على أحد ما طُبع على قلوب النّاس من أنّهم لا يميلون إلى الوُلاة الموصوفين بالشحّ والبُخْل، ولمّا يرون منهم أحيانا بذل الأموال بطيب نفس ومروءة كاملة، كانت تستر مظالمهم بذلك.

ومن جُملة إحسانه أنه كان يتفضّل بنصيب من دراهم الغرامات على فقراء العمالة في المواسم والأعياد، كما يتفضّل بنصيب آخر على الطُّلبا والواقفين على إصلاح المساجد على وجه المكافآت، وكان لم يُهمل إرسال هديةٍ عظيمة في كلّ سنة للحرمين الشريفين مكّة والمدينة، مع طواشي[67]صغير السّن لخدمة البيت في مدينة الرسول، لأن الطواشيّة هم المكلّفون باستحفاظ تلك البقعة المقدّسة من النّجاسة ولا يصلح غيرهم لمثل ذلك العمل، وأمّا التدنيش فإنّه كان يَقْدُم للجزائر في كل ثلاثة سنين مرّة ليدفع للخزنة محصولات الغرامة[68]، ومنذ استيلائه كان أهل الجزائر

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

يراقبون وقت قُدومه برغبةٍ كاملةٍ لما يعْلمونه من كرمه وتبرُّعه، لأنّه كان يبذل أموالا جزيلة تزيد على المائة ألف دينار ما بين العطاء لبيت المال والعوائدِ المعلومة، والمكافآت المشهورَة، ومثل هذا العدد كان ينْثُره على رؤوس النّاس عند دُخوله الجزائر، ما عدا العدد البالغ من المَواشي والحُبوب والخيل والعبيد ومؤونة الأكل، وكلُّ ذلك يعطيه على وجه الهدَة لكُبراء المناصب، وخُدّام المسَاجد ونحوهم؛ فكان جميع النّاس يفرحون بقدومه لاستبشار الخير عليهم منه، وحقيقٌ أنّ مثل ذلك اليوم عيدٌ للفُقراء.

ولمّا كانت أغراض الوُشاة متعلّقَة بحسد الأفاضلِ، طالَما سعَوا في جانبه بكلام السُّوء عند الباشا؛ فلم يقْبَل منهم كَلاما، ولم يرضَ بضرورة من له منفعة فيه لما يعلمه من ذكاوة عقله، وقوته عن سائر الولّاة، وخلاف الباشا الذي كان يعرفُ قدْره ويعلم خصائِله، كان لأقرانه البايات كباي التّيطري وقسنطينة محبّة بالغة فيه /3و/وكذلك حسن قبطان باشا بالباب العالي في إسلامبول[69]،كانت له محبّة صادقة في هذا الباي.

ملوك المغرب في خدمته مولاي محمّد ومولاي اليزيد ابنه ومولاي سليمان: وله مع باي تونس[70] وسُلطان المغرب مولاي محمّد بن عبد الله بن إسماعيل[71] هدايا عِظام تدلُّ على بلوغِ المحبَّة بينهم، وكذلكَ مولايْ اليَزيد[72] الذي تولّى مملكة المغْربِ بعد مولاي مُحَمّد؛ فكان مُمتنا لسيرة أبيه مع هذا الباي؛ فكانَتْ رَسَائلُ المحبَّة لا تنْقَطع بينهم، وقد ذكر الجُمَاني أنَّ كرم هذا الباي هو قُطْب مدارِ سيرتِه في جميع ماله، ودارُه كانت قبلةً لكلِّ مضطرٍّ إلى إحسانه، ومع هذا إنّه حاز الفضْل بحمايةِ ذَوي الأقْدَار الذين كانوا يلْتَجِئون إليه فرارا في مُهِمّات أمورهم ونوائب الزّمان، حتّى أنّ مولاي عبد الرّحمن ولد مولاي محمّد[73] سُلطان المغرب كان أصابه غيظٌ من أبيه، والتجأ إلى حُرمة محمد في أم العساكر فقبله أحسن قبول كما يجب لمقامه.

في 1201 سنة حجّ مولاي اليزيد ووروده على هذا الباي: وفي سنة واحد ومائتين وألف هجرية المطابقة لسنة 1786 مسيحية كان مولاي اليزيد أخ مولاي عبد الرحمن المذكور قد اجتاز على أم العساكر حين قصد الحج وزيارة بيت الله الحرام، وقد كان مترقّبا ولاية المغرب بعد أبيه فقابله الباي محمّد بالعزّ والاحترام، وأنزله في قصرِ

البُستَان[74]، وضيّفَه أعظم الضيافة، ثمّ لمّا تُوفي مولاي محمّد، وتولّى مكانَه مولاي اليزيد ابنُه ظهرَ منه الظّلم الشّديد الذي لا مزيد عليه، وَقتل بعْضَ أصْحابِ أبيه، وفرَّ البَعْضُ هاربا لجُورِه منْهُم بن خده الذي كان أقربَ النَّاس إلى أبيه، التجأ إلى أم العساكر فأكرمه الباي محمّد، وحصلت له عيشةٌ هنيّة عنده، وأهدى له جواري وعبيدا، وبالجملة فإنّه أصاب ما يُرضيه، وكمُل مرادُه عند الباي محمّد، كما أنَّ أحدَ خُلَفاء باي تيطري[75] هرب إليه بسببٍ كان وقعَ بينَه وبين الباي؛ فتلقّاه الباي محمّد بالرِّضا الكامل، وولّاه أحدَ أوْطان رعيَّته بأمّ العساكر، وكذلك أحد أولاد باي قسنطينة[76] التزم الهروب من عمالة أبيه لوقعة حدثت له هناك؛ فالتجأ إلى تلمسان، وأنعم عليه الباي محمّد بالإكرام الكامل، ثمّ بعد مدّة طلب من باشة الجزائر أن يتفضّل على ولد هذا الباي بإرسال عياله إليه؛ فقبل منه ذلك.

بعض الكلام على مدينة وهران وبنائها ومن ملكها من المسلمين والكفّار: هذا وسَننْذْكُر الآن وقعة الباي محمّد مع الإصبنيول الذي كان استولى على مدينة وهران، لأنّ هذا الباي محمّد كان أحد من تسبّب في فتْحِها، وممّا يَشْهدُ لثَباتِ سعْد هذا الباي أنّه اتفق في ذلك الزّمان وقوعُ هرج عظيم بفرانسة سنة ثلاثة وتسعين اهتز برّ أوربا له[77]؛ فوجد الباي محمّد فرصةً لذلك، وأثْمر نصْرا عظِيما اشْتَهر به عند عامّة العرب فهذا دليل سعده الكامل، وقبل الشُّروع في شرْحِ أخْبارِ تلْك المعركة ظهر لنا أن نذكر أولا بعض الحوادث المتعلقة بتاريخ وهران، قد ذكر الصّفدي أنّ حدوث مدينة وهران كان في سنة تسعين ومائتين هجرية المطابقة لسنة 902 مسيحية[78]، وفي تفسير قصيدة الحلفاوي[79] ذكرَ أنّ سلاطين مغراوة هم الذين أسَّسوا مدينة وهران، وأقام فيها الإسلام إلى سنة أربعة عشر وتسعمائة أو سنة 915 هجرية المطابقة لسنة 1508 مسيحية، ثمّ استولى عليها الإصبنيول، ونزعها في ذلك الأوان من يد قلموس[80]، أحدُ سلاطين عبد الواد المتأخّرين[81]، وقد ذكر ابن خلدون في تاريخه أنّ محمّدا بن عون[82] ومحمّد بن عبدون من عرب الأندلس في زمن دولة بني أميّة قدما إلى مدينة وهران، وحكّما فيها على يد خلفاء الأندلُس مدّة سبع سنين برضاء من بني مسكن[83].

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

ولمّا أسّس عبيد الله المهدي دولة شيعة في إفريقية[84] فَتَح طاهارت[85]، وولّى عليها دوَّاس بن صولات الكتمي[86]، ثمّ حرّك البربر على مدينة وهران فاتّفقوا مع بني مسقن، وفتحوها سنة سبع وتسعين ومائتين هجريّة المطابقة لسنة 959 مسيحية، ثمّ حرقوها فأمّا محمّد بن عون فهرب والتجأ إلى دواس المذكور فسعى في ردّه بعد مدّة إلى مدينة وهران بعد إصلاح خرابها وتجديد بنائها. هذا وإنّ ما ذكره البكري فإنّه يخالف أحيانا ما تقدّم ذكره حيث، زعم وأنّ محمّد بن أبي عون ومحمّد بن عبدون هُما اللّذان أسَّسا مدينة وهران، وقد سكنا بها في سنة تسعين ومائتين ولم يزالا بها إلى سنة 296هـ بمُوجِب العَقْدِ الذي تحرَّر بين [نفزة][87] وبني مسقن من فرق وزداجة[88]، ووقت التاريخ بفجيج البربر(كذا) على مدينة وهران ليخلفوا ثار قتيلة[89] وقعت من بني مزقن فحصروا المدينة، وقطعوا الماء عليها، ثمّ لما تضايق بني مزقن هربوا ليلا، والتجئوا إلى غرداجة[90].

وأمّا البرْبر فإنهم دخلوا وهران وهدموها، وفي شهر شعبان سنة ثمانية وتسعين ومائتين كان أبو حميد دواس وقيل داوود بن سولات جدّد بناء المدينة، وولّى عليها محمّد بن أبي عون، وقد ذكر /3ظ/البكري أيضا في سنة ثلاثة وأربعين وثلاثمائة هجرية المطابقة لسنة 954 مسيحية في شهر جمادى هجمَ علي ابن محمّد من عرش جعفري[91] على إزداجة في جبل يسمى قيدر[92] وهزمهم، ثمّ دخل مدينة وهران وحرقها وكلّ أهلها.

وكانت دشْرة في ذلك الزّمان قرب وهران عامرة برجال طوال القامة[93]، وكذا في زمن دولة اللّمتونيّين المعروفين بالمرابطين[94] كانت كدية أمام وهران فيها بناءً للمتعبِّدين وأصحاب الرّباط تُسمَّى صلب الكلب، وهذا المحل شهُر بموت آخر المرابطين، وهو تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللَّمتوني[95]. وها أنا نذكر ما بلغنا من خبر موته، وذلك أنّ عليًا بعث ولَده تاشفين لِمحلَّة ليتعرَّض إلى عبد المومن المشهور الذي كان فاز بسرُعة بتأسيس دولة الموحدين؛ فبينما كان واقفًا على تكميل مرادِ أبيه، وإذا به توفيَّ فتحقق عند تاشفين وقتئذ أنّه لم تبق له قدرة على من كان ضدّ السُّلالة ولا سبيلا على منْع نُصرة أعدائه.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

خبر موت تاشفين بن علي بن يوسف في وهران على يد عبد المومن: وإنّ صوْلة المُرابطين قد زالت؛ فعند ذلك التجأ إلى وهران ونوى بخاطره أنَّه إذا تضايق أمره (كذا) يلتجئ إلى الأندلس، وفي اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان سنة تسعة وثمانين وخمسمائة هجرية مطابقة لسنة 1400[96] مسيحية خرج تاشفين من وهران، وصعد إلى كدية صلب الكلب المتقدّم ذكره ليحضرَ في قراءة حزب القرآن هناك بحصن الرباط، ويعْتكف على القيام بإحياء الشَّهْر المُعظم رمضان مع جملةٍ من المتعبّدين، ووقتئذ كان عبد المومن بعث شطر محلته لقتال وهران؛ فوصل جيشه إلى سور المدينة في اليوم السادس عشر من الشهر المذكور، ولمّا بلغهم خبرُ تاشفين وأنّه مقيمٌ بالرّباط بعيدًا عن جنده، اتّفق رأيهم بالصّدمة على الرّباط غفلَةً؛ فهجموا عليه، وأحرقوا بابه.

ولمّا عاين تاشفين ما حلّ به من الفزع ركب جواده وحمل في وسط النار؛ فتخلّص من عدوِّهِ لكنّ جوادَه أهْمل به لحرارة ضرْب الشّيد، ولم يكفه اللّجام عن الإهمال فسقط في شعبة هناك غامقة ومات بها. وبينما ذلك أُخذ الرباط ونهب وقُتل جميعُ من كان فيه قبل أن يسْمع الجيشُ الذي كان بوهران، ولمّا علم بذلك عبد المومن ركب حينئذ وتوجّه إلى وهران؛ فلما وصل إليها أبْدل اسم صلب الكلب بصلب الفتح[97].

تخرّج بوهران من العلماء والأوّلياء: وقد اتفق المؤرخون في أقوالهم، وأنّه خرج من وهران عددٌ كثير من الناس ذوي الأقدار والصالحين، وها أنا نذكُر المشهورين منهم حسبما نصّ ابن خلكان في تأليفه[98] على مثل سيرة من ذكر[99]، حيث قال عندما بلغ الفصل الذي ذكر فيها اسم محمد: منهم السيد أبو عبد الله محمّد الوهراني الملقب بركن الدّين[100]؛ فإنّه كان قدم إلى مصر في زمن السّلطان صلاح الدّين بن أيوب، وولّاه كاتبا في ساحل الشّام؛ فأقام هناك مدّة سنين، وشاع خبره في تلك الدائرة، وقد توفي سنة سبعة وخمسين وخمسمائة هجرية المطابقة لسنة 1161 مسيحية.

وقد ذكر أبو العباس الغبريني في تأليفه المسمى عنوان الدّراية الذي يتكلّم فيه على علماء بجاية[101] قال: "إنّ من جملة العلماء الذين شيّعوا ذكر بجاية الشيخ

ردمد 2170-1636 ISSN EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

العابد الزكي أفخر الفقهاء أبو تميم؛ فإنّه قدم من وهران وسكن بجاية ليُعلِّم علم الأدب والرِّيَاسة"[102].

وكذا ابن باشكوال الذي جعل تأليفا على أخبار الأندلس[103]، وذكر فيه الشَّيخ عبد الرحمن بن خالد الحمداني الوهراني المسمى أبو القاسم، وفي بعض الأحيان يلقب بابن افخرواز- كذا- [104]، فإنه كان موصوفا بالزّهد والصلاح، وكان وقعت له قضية في بغداد حسبما نذكرها على لسانه: "وذلك أن عجوزا قدمت إلي وبعد أن ميّزت حالي، ونظرت إلي بعين التهاوي مستخفية في الثياب البالية قالت لي: بالله عليك، من أين أنت يا هذا؟ ولما أجبتها بقولي: من أرض بعيدة إلى هذا البلد، إنني من المغرب، تنكَّرت مني متعجبة وقالت لي: ما السبب الذي أتيت به من أرض بعيدة إلى هذا البلد؟ فقلت لها: قدومي لطلب العلم، قالت: أحقا ما قلت إنك جئت بقصد/4و/ طلب العلم لا لسبب آخر؟ ولما كرّرت مقالتي إليها صرفتْ كلامي، وانتثرت على الأرض إزارا كان تحت إبطها، وقالت: إن كان حقا ما قلته يا ولد أريد منك تطأ هذا الإزار برجلك، وتحثّ عليه غبار نعلك لنحفظه عندي إلى أن أموت فيكون هذا الإزار كفني إن شاء الله، واعلم إن كان سبب قدومك من أقصى المغرب إلى المشرق لأجل العلم، وهذه نيتك؛ فإنّك من أهل الجنة لا محالة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الجنة لمن اغبرت قدماه في سبيل الله"[105].

سيرة سيدي إبراهيم التازي: [.............][106]، وسيدي إبراهيم التازي[107] تلميذ سيدي محمّد الهواري المتقدّم ذكره، أصلُه من بربر بني لنت الذين سكنوا تازة، وقد لُقِّب باسم هذه المدينة لنشأته وتربيته بها، وكان مهْديا للطَّريق المَستقيمة، ولما توجّه إلى الحج كان له القبول الكامل في سفره، وقد سهُل عليه السّفر والمخالطة في توجهه إلى مكة، مع كل ولي صالح تسخيرا من الله تعإلى، ونال فضلَ بركة التعليم، واكتسب منهم الأسْرار الربَّانيّة المعروفة عند النّاس بالعلوم الباطنيّة، ولمّا رجع من الحجّ تعلّق بالُه بشوق الأحباب، وأنشد قصيدة ندكر أولها معنى لا لفظا[108]:

رأيْت/4ظ/ رأيت الأيام تمضي وسير الزّمن سريع وتوهمت ظنا بذلك يجمعني مع الحبيب، فجاب الرّحيل ولم أظفر بمن نال مع الله غاية الكمال، آه يا آسفا على فراق

الحبيب والصبر عندي معدوم يا ليتني أعانقه وأشفي غليلي، فإلى متى هذا الوقت البخيل يسمح لنا برؤية من أهواه.

ثمّ لما دخل بعد رجوعه من الحجّ، واجتمع مع علمائِها أعْطَوْهُ إجازةً تشْهدُ على عِلْمه، وكذلك حين دخل تلمسان وحضر دروس الشيخ ابن مرزوق نال إجازة ثانية، وحين سمع بالشيخ الهواري[109] في وهران قدم إلى زيارته، وكان وقتئذ قصده في الرجوع إلى الحج مرّة ثانية، لكنّ الشيخ منعه عن مراده ولزّمه بالعَشرة معه لمّا شاهد فيه من غزارةِ العلم والفهم، وكان نيَّةُ الشَّيْخ الهواري في ذلك أن يجعله نائبا عنده في طريق المشيخة، ولهذا كان يُداريه ويوقِّرَه مدّة حياته، ويقول لتلامذته: يجب لكم أن تمتثلوا لسيرة إبراهيم التازي؛ فازداد علما من هذا الشيخ، وتمهّر حتّى قيل إنه فاق عن جميع أقران عصره، ولمّا مات الشيخ الهواري قام مقامَهُ، ومع علمه كان ذا أخلاق حميدة وهيبة رفيعة، ماهرًا في علم الفقه والتصوّف، ومن جملة شيمته اللّطيفة أنّه كان كريما ذا صبر وحسن خلق، يحبُّ الأعيان، مطيعا لكلامهم، وبوجوده استنارت مدينة وهران، وازدادت عمارةً بعددٍ وافر من الغرباء الذين كانوا يأتون إليها من كلّ جهة لشيعته[110] في أقطار البلاد.

بناؤه الزاوية وإجراؤه الماء بوهران: ثمّ إنّ ابن سعد[111] الذي كان دائما يبالغ في مدحه قال: "إنّ ابراهيم التازي جعل مدينة وهران سوق الشيع والافتخار، ونشر بها راية الإسلام والدّين، ورتّب أعيادا ومواسم وجلب النّاس لتعلم العلوم الدينيّة والدّنياوية، وأدخلهم في مدنية العلم التي كانوا ضالّين عنها". هذا وإن السيّد إبراهيم التّازي اجتهد في بناء زاوية عظيمة اشتهرت باسمه، وتشييد البناء، وكانت بها مساجد ومدارس وبيوت للغرباء الذين كانوا يأوون إليها وحمامات وصهاريج ماء وبساتين وخزاين كتب ومخازن سلاح وغير ذلك، ولم يوجد في سائر المغرب زاوية أعظم منها إلّا أنّ الماء كان مفقودًا بوهران؛ فاهتمّوا بذلك أعني أهل البلد، ولم تكن لهم قدرة على جلبه إليها لضعفهم؛ فوقف السيّد إبراهيم التّازي على هذا الحال المهم، وبذل أموالا جزيلة من كيسه لفائدة العامّة، ونال مرادَه في جلب الماء الغزير للبلاد من أرض بعيدة[112]. ثمّ إنّ الجماني أنكر على كلام النّاس الذين زعموا وأنّ الشيخ إبراهيم التازي جلب الماء من بين الأبراج موافقا لما قاله سيدي زعيم المدفون بمزغران[113]

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

الذي جعل شعرا في ذلك قائلا: إنّ إبراهيم التّازي اختار وهران مسْكنه، وجمع ماء إيفري وهورة في رأس العيون(114)، وذكر الناس أنه وقف على بناء أماكن غير الزاوية المذكورة من خاصة أمواله إلا أنّها لم تكن متقنة وحبّسها على الزاوية.

هذا ولم نقف على كتابٍ يذْكرُ ما كان يكسبُه هذا العالم من الأموال، والظّاهر أن ما كان يقبضه من الوعْدة والهدايا من التّلاميذ والمسْلمين شيء عظيم، ولمّا كان يصْرف ذلك بالتأويل في منافع العامّة، وجبَ أن نذكر ما قال في حقه أحد شعراء العرب: إن الآثار التي خلّفها السيّد إبراهيم تشهد على ما كان عليه من الكمال، وكفى بها دليلًا على حُسن أفعاله، ثمّ إنّه كان مجتهدا في جبر العامّة يبذل الأموال في مصالحِ العباد بلا عدد، ولا يُبالي بالحال المستقبل، ولذلك إنّ ولده لم يرث منه شيْئا، ولو قَدْر قلامة ظفر، هكذا ذكر المؤلف الذي أخبرنا بسيرته.

وقد كان أصْحابه يعاتبونه على كرمه وإسْرافه الذي ليس له نهاية، ويقولون له: "فِعْلك هذا يؤدي أمره إلى ضرورة الفقر"؛ فكان يجيبهم بكلام أبي العباس بن العفيف(115) بقوله: "إنكم تلومونني على كرمي، ألم تعلموا أن الكرم شيمة ولا قُدرة فيّ عن تبديل/5و/ ما وضعه الله في خلقي، وإنّي لم أر شيئا أجل من الكرم، لأن الكرم الجديد له لذة والكرم القديم تنشرح الصدور عند ذكره، ومن لم يتلذذ بالكرم في حياته؛ ففي دنياه ما يسرُّ الخاطر؛ فاتركوني على حالي كريما لأنّ البخل أخبث ما يكون، وما يضرّني قول من نسب إليّ سرف الأموال لأنّ الكريم جميع الناس عيالُه والبَخيل ليس له عيال، ولا حبيب حينئذ، كيف أخشى من الفقر، وكيف بكم تحبُّون أن أبني سورا على مالي مع أن الله هو الكرم والجود؛ فالله يُبْقِيني على حسب هذه السيرة.

وتُوفيّ سيدي إبراهيم التّازي بوهران يوم الأحد ثالث شعبان سنة ستة وستين وثمانمائة هجرية بالقلعة مطابقة لسنة 1461مسيحية، وقيل دفن بالقلعة(116).

(انتهى الجزء الأوّل، ويُتبع بالجزء الثاني في العدد اللّاحق بإذن الله)

الهوامش:

1- بلبروات بن عتو، فتح وهران والمرسى الكبير في الكتابات التاريخية لعام 1792م، مجلّة الحضارة الإسلاميّة، مجلّد9، عدد 12، 2005، صص 269-278، صص271-272.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

2- لُقّب بالأكحل لشدّة سُمرته، وإطلاق لفظ أكحل على اللّون الأسود شائع عندنا في لهجتنا الدّارجة، ولعلّها مأخوذة من الكُحُل الذي يوضعُ في العين.

3- عُصمان الكردي: وليَ حُكم مليانة، وكثُرت غاراته ضدّ الأعراب إلى أن قُتل في بعض غزواته ضدّ النوائل، فخلفه أبو إسحاق إبراهيم. ينظر: أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2012م، ص133.

4- مليانة: مدينة جزائريّة تقع غرب الجزائر العاصمة، وتطلّ من الشرق والغرب على وادي شلف، ويحيط بها مجموعة من الجبال: كجبل زكار الشرقي والغربي، قام بلكين بن زيري بتجديد بنائها على أنقاض مدينة رومانيّة وذلك بأمرٍ من والده زيري بن منّاد أمير صنهاجة، وخلال العهد العثماني كانت تابعة لبايلك الغرب الذي كانت عاصمته مازونة، ثمّ أصبحت تابعة لدار السّلطان وتحت حُكم الباشا مُباشرة، وأسْكن فيها العثمانيُّون قبائل المخزن. يُنظر: عبد الرّحمن الجيلالي، تاريخ المُدن الثّلاث: الجزائر- المديّة- مليانة، ط1، شركة دار الألفة، الجزائر، ط1، 2007م، صص 290-.292

5- باي التيطري :هو الذي يُشرف على بايلك التيطري وعاصمته المديّة وسُمي بهذا الإسم نسبة إلى جبال تيطري الواقعة في الحدود الشماليّة للهضاب العليا. يُنظر:محمّد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي بوعبدلّي، ط1، عالم المعرفة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2013، ص249/الجزائر في التاريخ- العهد العثماني، ناصر الدّين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984م، ص.20

6- أي أنّهم كانوا يستاءون من ذلك.

7- في أواخر العهد العثماني اقتصرت سلطة باي التيطري على سائر مدن الإقليم دون المديّة التي ترأسها حاكمٌ تُركي خاضعٌ لآغا العرب المُتصرّف في دار السّلطان، وذلك للحدّ من نفوذ الباي والتّقليل من قوّته. يراجع: المهدي بوعبدلي وناصر الدين سعيدوني، المرجع السّابق، ص.20

8- أولاد نايل: قبيلة كانت لها سطوة في كلّ من بسكرة والمسيلة والجلفة والأغواط، وتنتشر بعض بطونها في كلّ من المديّة والبويرة والبُرج، ويظهر أنّهم تجمّع قبلي يضمّ جماعات زغبيّة وأخرى بربريّة.

9- أبو إسحاق إبراهيم الملياني، صار بايا لبايلك الغرب عام 1170هـ، فكان مُحبّا للعلم وأهله، وبنى برج العسْكر بمعسكر، وتوفي سنة 1185هـ، ودفن بالمعسكر. يُنظر: الزياني، المصدر السابق، ص.358

10- هو محمّد بن عثمان : الملقّب بالرقيق والمسلوخ، والمكنّى بأبي كابوس لقتله السّائح بن خضرة بالكابوس، تولّى أواخر سنة 1222هـ، وبقي مدّة خمسة أعوام، وسعى إلى القضاء على ثورة الدرقاوي، وكثُر بطْشُه بالرعيّة، وقُتل سنة 1228هـ، بعد أن عصى أوامرَ باشا الجزائر. المصدر نفسُه، صص294-.304

11- 1173هـ/1759-1760م.

12- حسن باي: تولّى سنة 1170هـ، وهرب إلى اسطمبول حين أهانه باشا الجزائر، ليخْلُفه إبراهيم الملياني في نفس السنة. المصدر نفسه، ص.258

13- كان كلّ باي مُلزماً بإرسال مبالغ نقديّة ومواد عينيّة يحمِلُها خليفةُ الباي في فصل الرّبيع والخريف، وتُعرف بالدّنوش الصّغرى، كما كان الباي شخصيّا مُطالبٌ بالحضور إلى مركز السُّلطة ومعه مردود مقاطعته خلال كلّ ثلاث سنوات، وتسمّى هذه المطالب بالدّنوش الصّغرى، وحسب الإحصاءات فإنّ دنوش وهران في أوائل القرن السّابع عشر كانت تبلغ 100 ألف ريال، وفي أواخر القرن الثامن عشر قُدّرت ب237000قرش، بينما بلغت أوائل القرن التّاسع عشر إلى 75000قرش قرد أو دولار إسباني، ونُلاحظ أنّ دنوش بايلك الغرب كان أكثر من دنوش بقيّة البايليكات. ينظر: ناصر سعيدوني والبوعبدلي، المصدر السّابق، ص41.

14- تولّى حسن باي في أيام علي باشا الذي دامت باشويته من 1168هـ إلى 1179هـ. يُنظر: الزياني، المصدر السّابق، ص.247

15- الصبنيول: يُقصدُ بهم الإسبان، وأمّا إسبانيا فيكتُبها هكذا صبانيا وأحيانا إصبانيا، ونُلاحظ في كلا اللفظتين قام المؤلف بإبدال السّين بحرف الصّاد، وهو ما يتوافق مع اللّهجة الوهرانيّة. فلا يزال سكّان الغرب ووهران يقولون سأذهب إلى صبانيا.

16- أصبح إبراهيم بايا على بايلك الغرب سنة 1170هـ.

17- فليتة: هي بطن من بطون سويد من بني مالك بن زغبة، استقرّوا بأحواز شلف ثمّ استوطنوا مدينة البطحاء غربي غليزان، والتي صارت تعرف بفليتة نسبة إليهم. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، ط2، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، 2001م، ج6 ص59/عبد الوهاب منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكيّة، الرباط، 1968م، ص.433

18- 1182هـ/ 1768م.

19- قال الراشدي عن ذلك: "ثمّ علم السيّد إبراهيم رحمه الله أنّ قدْره أجل من تلك الولاية-أي ولاية فليته ومآثره تضيق عنها تلك الإيالة، استخلفه عنه ليكفيه المؤونة، ويُصلح لبه شؤونه، ويُشاركه بالحكم في نصف إيالته، وشرقي عمالته، وذلك سنة اثنين وثمانين، فقام بذلك أتمّ القيام". المصدر السّابق، ص.134

20- يقْصُد الأعراب، وهنا يُخلط كثير من الكتّاب حين يفهمون دائما من كلمة العرب الدّارجة على ألسُن المؤرّخين كابن خلدون وغيرهم معنى "جنس العرب"، بينما مراد هؤلاء المؤرّخين القبائل البدويّة.

21- نصّ الراشدي: "حتّى هلك السيد إبراهيم بيك غرّة سنة تسع وثمانين ومائة وألف". المصدر السّابق، ص.135

22 - انطلقت الحملة يوم 23 جوان 1775م الموافق ل23 ربيع الأوّل 1189هـ من ميناء قرطاجنة لتصلَ إلى سواحل مدينة الجزائر يوم 30 جوان.

23- قام ملك إسبانيا شارل الثالث بتجهيز جيش قوي أمّر عليه الكونت أليخندرو أوريلي (Algandro O'reilly)، وهو إيرلندي الأصل ودامت وقائعها من 1جويلية إلى غاية 11جويلية، وكان إبراهيم باي الغرب حيا أثناء هذه المعركة، وأرسل خليفته محمّد بن عثمان الكبير، فيما بقي هو بالغرب لاشتغاله بحفظ ناحية مستغانم، و أبلى الباي صالح وكذلك محمّد بن عثمان في هذه المعركة بلاء حسنا، وتصدّى الباشا محمّد بن عثمان لهذه الحملة، وكبّدها خسائر كبيرة وانتهت بهزيمة إسبانيا وقُتل عدد كبير من الإسبانيين ووقع الكثير منهم في الأسر. ينظر: ابن رقيّة محمّد التّلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، نشره: سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب، الجزائر، يوليو 1967م، رقم 03، صص25-32/الطّاهر تومي، الغزو الإسباني للجزائر سنة 1775م، مجلّة العلوم الإسلاميّة والحضارة، العدد4، ديسمبر 2016، ص ص199-222، ص.207

24- قال الراشدي: "فقد أتوها سنة تسع وثمانين ومائة وألف وخرجوا إلى البر قرب وادي الحرّاش وابتنوا مترسا طوله ألف خطوة، وأنزلوا إليه مدافعهم وزادَهم، وخرجوا للقتال يوم السّبت العاشر من جمادى الأولى، وحملوا كالجراد المُنتشر حتّى وصلوا دروب الأجنّة، فردّهم المسلمون أقبح الردّ، وأحجروهم إلى مترسهم، وقتلوا منهم نحو الثمانية آلاف أو أكثر، وجرحوا أكثر من ثلاثة آلاف، لم يعش منهم إلا النّادر حتّى كانوا يقولون: إنّ رصاص المسلمين مسموم" . المصدر السّابق، ص.270

25- الخطوة تساوي ثلاثة أقدام والقدم هي تقريبا 32 سم، أي أنّ طول المترس تقريبا 1000متر.

26- قَدّرت بعضُ التَّقارير الاسبانية أعدادَ القتلى ب4000 قتيل فيما قدّرتها الرّواية الإسلامية بثمانية آلاف قتيل وثلاثة آلاف جريح. يُنظر: ابن رقيّة التّلمساني، المصدر السّابق، صص25-؛ 32؛ أحمد توفيق المدني،حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ت، صص485-.505

27- هو **والسين إسترهازي (Walsin-Esterhazy Lois Josef)**، ضابط فرنسي (1807-1857م)، رافق معظم الحملات الفرنسيّة في الجزائر منذ دخوله إليها سنة 1832، ارتقى إلى رُتبة جنرال في الجيش الفرنسي ومكث بالجزائر مدّة ثمانية عشر سنة. اهتم بالتّنظيمات العسكرية العُثمانية، ترك كتابا قيّما عن مخزن وهران تناول فيه المناطق الغربيّة للجزائر وعلاقة جيش الاحتلال بمقاومة الأمير وقبائل الدوائر والزمالة وتعداد القوات الفرنسية بالمنطقة. وكتابه الذي أشار إليه المؤلّف تحت عنوان: **السيطرة التركية على إيالة الجزائر (De la domination turque dans l'ancinne régence d'Alger)** وهو من أهم إنجازاته. هلايلي حنيفي، شخصيّة سيدي محمّد الهواري في الكتابات الاستشراقية الفرنسيّة خلال الفترة الاستعماريّة، الحوار المتوسطي، عدد 15-16، مارس 2017، صص326-348، صص 332-333.

28- رأسُ السَّوطة: حاليا هي حيّ كبير ببلديّة برج الكيفان شمال شرق الجزائر العاصمة، وجاء في النصّ الأصلي:
(Peut- étre est ce le Haouche connu sous le nom de Ferme la Rassauta). A. Gorguos Notice sur le Bey d'Oran Mohammed el Kebir, v1, 1856, pp 403-416 et pp454-463, p410.

29- قال الرّاشدي: "وأُخْبر أن المتولّي خليل، فقُلبت المِنْحة مِحنة، وأمسى النّاس في خطب جليل، وما قُدّم عليه وإن كان هو المقدّم عند أهل الدّيوان، المحبّب لسائر الأمراء والأعوان إّلا لكون خليل له مالٌ أُريد ضمُّه لبيت المال لئلّا يُدْرج في زوايا الإهمال ثمّ إنّه مات لنحو الثّلاث سنين ونصف من يوم إمرته". المصدر السابق، ص.135

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

30- أمّ العساكر: هو الإسم الذي كان يُطلق على مدينة معسكر الجزائريّة التي تقعُ جنوب شرق وهران وتبعد عنها ب95 كلم، وتحدّها وهران من الشّمال وسعيدة من الجنوب وغليزان من الشرق وسيدي بلعباس من الغرب، ذكرها الادريسي بقوله أنّها: "قرية عظيمة لها أنهار وثمار". اهـ ويقال أنها كانت معسكرا للائمة الرُستميّين، واتخذها بنو زيان معسكرا للإجلاب على قبائل بني توجين. ولم يعتنوا بتمدينها حتى مصّرها العثمانيّون. وصارت عاصمة لبايلك الغرب قبل أن ينتقل كرسيّ البايلك إلى وهران عقبَ تحريرها. يُنظر مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ج2ص442.

31- حول المجاعة التي أصابت الغرب الجزائري ينظر: الراشدي، ص.144

32- كلمة غاية في لهجتنا العاميّة معناها جيّد، ولعلّها مأخوذة من بلوغ الغاية أي التّمام والكمال، أي فحصّنوا المدينة جيّدا.

33- الراشدي: "فزاد في جامع السّوق الصفّين المُقدّمين". المصدر السّابق، ص135.

34- هو الجامع الأعظم الحالي بمدينة مستغانم الواقع بحي الطبانة الذي يعني اسمه باللغة التركية "طب هانه" أي بطاريّة المدفعيّة، ويرجع عهده إلى بني مرين، حين أمر أبو الحسن المريني بتأسيسه وتمّ ذلك سنة 742هـ/1340م، ووَجد الأثريُّون قطعة من منبره وُضعت في مُتحف فاس منذ عهد الاحتلال الفرنسي مكتوبٌ فيها: "أمر ببناء هذا الجامع المبارك وشيّده مولانا السّلطان الأعدل عبد الله أمير المسلمين والمجاهد في سبيل الله ابن الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل ربي العالمين، أبي سعد وذلك في عام اثنين وأربعين وسبعمائة 742هـ" وهي السّنة الموافقة لـ 1348م كما تمّ ترميمه من طرف وزارة الثقافة سنة 1998م.

35- جاء في مطلع هذه القصيدة: انظر رعاك إله الخلق واعتبر لمسجد رائق قد لاح للبشر

ينظر: الراشدي، المصدر السّابق، ص.137

36- قرومة: هي قرية بدائرة الأخضرية، وجاء في مطلع قصيدة هذا الشّاعر القرومي:

لمّا التقيت بوافد الحُسن البهي يُزجى المطايا مغربا في عسكر

الرّاشدي، المصدر السّابق، ص.138

37- سيدي علي بن محمّد: هي إحدى دوائر ولاية مستغانم، ولم أعثر على ترجمة وافية لدفينها سيدي علي، كانت منطقةَ مراقبةٍ إبّان العهد العثماني، وتمّ اعتمادها كبلديّة منذ سنة 1873م، وكانت تحمل اسم سيدي علي، ثمّ تمّ تغيير إسمها سنة 1889م من طرف الإدارة الفرنسيّة، فأصبحت تحمل اسم كاساني وهو أحد ضبّاط فرنسا الذي كان ضمن الجيش الذي ارتكب مجزرة أولاد رياح في سنة 1845م، وبعد الاستقلال أعيد لها اسمها الأوّل. وهنا نلاحظ أنّ المؤلّف نبّه إلى أنّ سيدي علي تقع في مستغانم فلعلّ ذلك راجع إلى معارفه وثقافته حول قرى ومدن الجزائر.

38- السوق الذي تمّ تشييده بجوار المسجد العتيق بمستغانم في حي الطبّانة.

39- يُقْصد بهاتين المدرستين كلّا من مدرسة الجامع الكبير وهي المعروفة بالمدرسة التاشفينيّة ومدرسة ابني الإمام التي شيّدها أبو حمو موسى الأوّل (707-718هـ/1308-1318م) وعيّن على رأسها الإمامين الأخوين أبو زيد عبد الرّحمن (743هـ/1342) وأبو موسى عسى(749هـ/1348)، وقد استجاب الباي محمّد في ذلك لنداء الشيخ محمّد الزجاي المشهور بالنّساخة. يراجع: بن عتّو بلبراوات، الباي محمّد الكبير ومشروعه الحضاري 1779-1797، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2002، صص222-.223

40- كشرو: منطقة بمعسكر، قرب مركز أسرة الأمير عبد القادر. الراشدي، المصدر السّابق، ص143

41- هذا خطأ من المؤلف وترجمة خاطئة بسبب عدم الرّجوع إلى الثّغر الجماني، فالفرقة المقصودة هي الأعْشاش التي كانت في المنطقة الحدودية بين المغرب الأقصى والجزائر قرب مغنية، بينما عشعاشة إسم لمنطقة ساحلية شرق مستغانم. والنصّ الأصلي ورد فيه الاسم هكذا) (Achchach) راجع: المصدر نفسه، ص145؛ A. Gorguos, ibid, p410 .

42- يُراجع: الرّاشدي، المصدر السّابق، ص.145

43- المهايا بطن من نسل عثمان بن خراج، والخراج هو فرع من فروع ذوي عبيد الله المعقليين، فالناجعة منهم يسمون بالمهايا وينسبون تارة إلى المهايا بن عياض. وتارة إلى مهايا بن مطرف، كانت لهم وجدة وندرومة وبني يزناسن ومديونة وبني سنوّس أيّام الزيانيين. أمّا أولاد طلحة فهم أيضا من الخراج، وهم من ذرية طلحة بن يعقوب بن يغمور بن عبد الملك. ينظر: عبد الرّحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6 صص80-81.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

44- الحشم: هُم بطن من بطون زناتة، فهم بنو يرناتن إحدى بطون توجين الذين يعودون بدورهم إلى قبيلة بني راشد بن محمّد بن يادين، وكانت مواطنهم بالصحراء في الجبل المعروف براشد اسم أبيهم وهو نفسه جبل العمور، واستقروا أواخر الدولة الزيانية بقلعة هوارة ويبدوا أنّ اسم الحشم هو لقب أُطلق عليهم بسبب تقريب محمد بن عبد القوي أمير توجين لهم وجعْلهم بمثابة الوزراء له. عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7ص148؛ صص203-204؛ صص218-219.

45- الظّاهر أنّ الأحرار هم خليطٌ من العروش العربية والبربرية التي شكّلت تحالفا ضدّ العثمانيين، وكانوا يرفضون أداء المطالب المخزنيّة، الأمر الذي كلّفهم الكثير من الخسائر جرّاء الحملات العثمانيّة التأديبيّة، وقد انضموا لثورة ابن الشّريف، ولا تزال توجد جماعات تنتمي للأحرار بتيارت وسعيدة. ينظر: الزياني، المصدر السّابق، ص273.

46- قبيلة حميان: هي من قبائل زغبة، ويرجع نسبهم إلى حميان بن عقبة بن يزيد بن عيسى بن زغبة، كانت مواطنهم أيّام يغمراسن بن زيان بجوار حلفائهم من بني عامر، بصحراء جنوب تلمسان، وكانت بينهم وبين المعقل الكثير من المنازعات، ثمّ تقدّموا أواخر العهد الزياني إلى جبال تسالة واستوطنوا سهول ملاتة وتوزّعوا في كل من شمال بلعباس وجنب غرب وهران وشمال شرق تموشنت، وفي أواخر العهد العثماني انتقل الكثير منهم إلى نواحي أرزيو. ينظر : ابن خلدون، المصدر السّابق، ج6ص56؛ عبد القادر المشرفي، بهجة النّاظر في أخبار الدّاخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق محمّد بن عبد الكريم، صص26-27.

47- يقصد أهل جبل راشد، وهو جبل العمور الذي ينتمي إلى سلسلة الأطلس الصحراوي، طوله 100كلم وارتفاعه 2008متر، كان موطنا لقبيلة بني راشد البربرية ثمّ خلفهم عليه الهلاليون. ينظر:أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، ص 163.

48- أحمد ابن هطّال التّلمساني: واحدٌ من أشهر علماء الغرب الجزائري خلال العهد العثماني، وقد ارتقى في المناصب أيّام الباي محمّد بن عثمان وأصبح يشغل منصب رئيس الكتّاب، و كلّفه باي وهران بتدوين وقائع رحلته العسكريّة إلى جنوب الغرب الجزائري، وتوفي بمعركة فرطاسة سنة 1803م، على يد الدّرقاويين في عهد الباي مصطفى. ينظر: عتوّ بلبروات، اهتمام الاستشراق الفرنسي برحلة بالباي محمّد الكبير إلى جنوب الغرب الجزائري، مجلّة الحوار المتوسطي، العدد 3-4، مارس 2013، صص107-117، ص116.

49- كان من نتائج هذه الوقعة أن انقاد أهل أنقاد و الأحرار الغرابة و قبيلة تاجموت وعين ماضي، و تعهدوا بدفع المطالب المخزنيّة، بينما خضعت قبائل أخرى بعد أن ذاقت الأمرّين من الحصار الذي فرضه الباي عليها، وشهدت هذه الخرجة العسكريّة نشوب عدّة معارك، وشنّ العديد من الغارات، كإغارته على جبل خنيق الملح وبلدتي الخضراء وتاويلة وتادمامة وقصر أوفل، وأعراب القعدة وبلدة زنينة، ثمّ قيامه بالإغارة على عين ماضي ثمّ الأغواط. ينظر : أحمد ابن هطّال التلمساني، رحلة محمّد الكبير باي الغرب الجزائري إلى جنوب الغرب الجزائري، تحقيق محمّد بين عبد الكريم، علم الكتب، القاهرة، صص37-59/الراشدي، المصدر السّابق، صص146-149/عتو بلبراوات، المرجع السّابق، صص108-112.

50- الراشدي، المصدر السّابق، صص146-149.

51- المصدر نفسه، صص146-149.

52- الرّاشدي، المصدر السّابق، صص147-148.

53- يخلف الثار بلهجتنا العاميّة تعني ينتقم ويثأر.

54- المصدر نفسه، صص146-149.

55- المصدر نفسه، صص154-156.

56- المحبوب يُقصد به الدّينار الذهبي.

57- تقدّم ذكر مطلع القصيدة.

58- أي الطَّلبة وهم حفظة القرآن، ولا نزال إلى اليوم نتداول هذه الكلمة ونُطلقها على حفظة القرآن الذين يتفرّغون لحفظه بالزّوايا والمدارس وننطقها هكذا "الطُّلبا".

59- الاسم الذي ذكره جورجويس هو Mohammed Ben Ethaiie لعلّه يقصد محمّد بن الطيّب المازري البليدي الذي أنشده قصيدة على إثر زلزال وهران وقال فيها: غزا أرض وهران بجيش عرعرم فضاق به الفضاء عن ذلك الجند

الراشدي، المصدر السّابق، ص170؛ A. Gorguos, ibid, p414

مجلة عصور الجديدة- المجلد 9 – العدد 1 (ماي) 1440هـ/2019م

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

60- اسمه محمّد المازري التّلمساني، وله قصيدة جاء في مطلعها: بدأت بحمد الله في معرض الثّنا وفي الافتخار بهجة وثناء المصدر نفسه، ص171.

61- هكذا ورد في المخطوط، والذي في الثّغر الجماني هو عقود المحاسن، وهو الصّحيح. ص.155

62- العقيقة: قصيدةٌ من القصائد الحجازية التي تصف بلاد الحرمين ومدى شوق القاصدين والزائرين، واشتهرت العقيقة التي نظمها سعيد المنداسي، مادحا بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وواصفا البقاع المقدّسة، وآثار الحجاز وذكرياته هناك، وقد اهتمّ الشّعراء والعلماء والمؤرخين بها، فشرحوها، وأوّل من قام بشرحها هو الأديب أحمد بن سحنون الرّاشدي، فألف كتابه: الأزهار الشقيقة المتوضّعة بعرف العقيقة. ينظر: حفناوي بعلي، الرحلات الحجازية المغاربية، -المغاربة الأعلام في البلد الحرام-، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ص388.

63- هو محمّد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدّحاوي، شهد فتح وهران وولي القضاء بها، وله كتاب الرّحلة القمريّة في الأخبار المحمديّة، و له مؤلّف: فتح وهران وجامع الجوامع الحسان، وكتاب آخر بعنوان"الاكتفاء في حُكم جوائز الأُمراء والخُلفاء"، وتوفي في طاعون سنة 1215هـ(1800-1801). الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، الأغا بن عودة المزاري، تحقيق: يحي بوعزيز، ط2، بدار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ج1ص64.

64- إيفري قريةٌ صغيرة على الضفَّة اليسرى لواد الرّحي-جمع رحا- الذي يعرف اليوم بواد راس العين، وكلمة إيفري أمازيغية وتعني الكهف.

65- الذي ذكره الراشدي أنّ الباي محمّد بن عثمان كلّف السيّد مصطفى بن عبد الله بن زرفة بتقييد الحوادث المتعلّقة بالجهاد، وتدوين ما يصل إلى الطّلبة من رزق وغيره، فقيّد قليلا ثم اشتغل عن التقييد إلى أن حصل الفتح، وذكر الرّاشديُّ أنّ ابن زرفة بعد تحرير وهران جدَّ في جمْع ما أمكن جمعُه من أفواه الرُّواة. يراجع: الراشدي، المصدر السّابق، ص155.

66- هذا خطأ من المُؤلف ومن جورجيوس، تابعًا فيه ابنَ سَحُنون الرّاشدي لأنّ عبد اللطيف بن يوسف الحكيم البغدادي المتوفى سنة تسع وعشرين وستمائة. له كتاب بعُنوان شرح الحديث الأربعين في الطب النبوي بينما **مؤلّف كتاب** المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي هو جلال الدّين السيوطي. يُنظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المثنى: بغداد، 1941م، ج2ص1038.

67- قد يكون مراده بلفظة الطاوشي "الشاوش أو الشاويش" وهو الخادم، وعند الراشدي: "ولقد كان منذ أعوام وجّه غلاما خصيًا برسم خدمة الرّوضة المشرّفة". الراشدي، المصدر السّابق، ص152/سعيدوني والعبدلي، المرجع السّابق، ص19.

68- يقول الزياني: "ولابدّ للباي في كلّ ثلاث سنين من دخوله للجزائر إن لم يلحقه عُذر من مرض ونحوه، وإلّا بعثَ خليفتَه عِوضا عنه، ويُسمّى الدخول عندهم بالدّنوش وعلّة دخوله في كلّ ثلاث سنين هي إعطاؤه ما لَ الدّولة بيد الخزناجي وإعطاؤه للعوائد، ويقع يوم دخوله مهرجان عظيم وتخرج أكثر النّاس لملاقاته وصفته أنّه إذا قدم للبلد وبقي بينه وبينها نحو الأربع ساعات، نزل في محلّ منسوب له يقال له حوش الباي، ومنه يقدُم للجزائر فيصلُ قبل الفجر لمحلّ يُقال له (عين الربط) فينزل فيه إلى ارتفاع النّهار، وانفتاح أبواب المدينة، فيركب أرباب الدّولة من الخزناجية والآغات وخوجة الخيل والدّيوان وغيرهم ويخرجون لملاقاته، ومعهم نوبة الباشا تضرب عليهم" . الزياني، المصدر السّابق، صص250-.251

69- إسطنبول: عاصمة الخلافة العُثمانية، وكانت قديما تعرف بالقسطنطينة وبيزنطة، كانت عاصمة الأرثدوكس، ثمّ فتحها العثمانيون على يد محمّد الثاني الذي اشتُهرَ فيما بعد باسم "محمّد الفاتح"، وذلك سنة 1453م. وتحوّلت هذه المدينة إلى أستانة أي عاصمة.

70- محمّد بن عبد الله بن إسماعيل الحسني العلوي، ولد بمكناس سنة 1143هـ، ناب عن أبيه بمراكش سنة 1158هـ، وتولى الخلافة سنة 1171هـ- إلى 24 رجب 1204هـ، قال عنه الناصري: "وهو الذي جدّد هذه الدّولة الإسماعيلية بعد تلاشيها، وأحياها بعد خمود جمرتها وتمزيق حواشيها، بحسن سيرته ويمن نقيبته". يُنظر: محمّد الضعيف الرباطي، تاريخ الضّعيف (تاريخ الدّولة السعديّة)، تحقيق أحمد العماري، دار المأثورات، الرّباط، 1986، صص163-202/أحمد بن خالد السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج7 صص181- 193.

71- بويع سنة 1171 بعد وفاة والده، وتوفي سنة 1204هـ. السلاوي، المصدر السابق، ج3 صص3-65.

72- مولاي اليزيد: بويع سنة 1204هـ. المصدر نفسه، ج3ص76.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

73- المصدر نفسه، ج3ص.75

74- أشار الرّاشدي إلى زيارة مولاي اليزيد للباي محمّد فقال: "ثمّ إنّ أخاه مولاي يزيد خليفة المغرب اليوم مرّ بناذاهبا للحج، فتلقّاه بأعظم ممّا تلقّى به أخاه، وأنزله في بستانه الفياح وحسن إليه بما لا تلحقه فيه لواقح الريّاح". المصدر نفسه، ص153.

75- لم يذكر الراشدي اسمه.

76- اسمه حسن باشا. المصدر نفسه، ص.154

77- يقصد المؤلف بالهرج العظيم الحديثَ عن الثّورة الفرنسيّة التي حدثت سنة 1789، ونجحت في الإطاحة بالملكيّة والتّأسيس للجمهوريّة، وانتقلت شرارتها إلى كامل الملكيّات بأوربا وكان شعارها"الحريّة- العدل- المساواة".

78- قال الصّفدي: "ووهران مَدِينَة كَبِيرَة وَبَينهَا وَبَين تلمسان يَوْمَانِ بنيت سنة تسعين وَمِائَتَيْنِ". ينظر: صلاح الدين بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، ج4 ص273.

79- يقصد شرح الجامعي لقصيدة الحلفاوي حول فتح وهرن.

80- لفظ الجامعي: "وهران بفتح الواو نصّ عليه ابن خلكان في ترجمته لأبي عبد الله الوهارني، هي مدينة صغيرة بساحل البحر الروماني من الناحية البربرية من المغرب الأوسط، بناها ملوك مغراوة في أيامهم وامتدّت العمارة الإسلاميّة بها إلى سنة خمسة عشر وقيل أربعة عشر وتسعمائة، فاستولى عليها النّصارى الإسبانيون، وذلك في أيّام بني عبد الواد في عهد أبي قلموس". أبو زيد عبد الرحمن الجامعي، فتح مدينة وهران، ضمن "تاريخ تحرير وهران من الاحتلال الإسباني خلال القرن الثامن عشر الميلادي، من خلال مخطوطتين، تحقيق مختار حساني، مخبر جامعة الجزائر، الجزائر، 2003م، ج1 ص.45

81- بوقلموس: هو عبد الله تولى من 1475 إلى غاية 1505م، لقّب بأبي قلموس لأنّه كان يغطي رأسه بقلمونة. التي نُطلق عليها في الغرب أيضا القرمونة، وهي غطاء للرّأس متّصلٌ بالبرنوس.

82- هو محمّد بن أبي العون: ونصّ كلام ابن خلدون: "ونزل مرسى وهران من رجال الدولة الأموية محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون، فداخلوا بني مسكن وملكوا وهران سبع سنين مقيمين فيها للدعوة الأموية، فلما ظهرت دعوة الشيعة وملك عبيد الله المهدي تاهرت وولّى عليها دواس بن صولات اللهيصي من كتامة، وأخذت البرابرة بدعوتهم أو عز دوّاس بحصار وهران فرجعوا إليها سنة سبع وتسعين وأدخلوا بني مسكن في ذلك فأجابوهم، وفرّ محمد بن أبي عون فلحق بدوّاس بن صولات واستبيحت وهران وأضرمت نارا. ثم جدّد بناءها دوّاس وأعاد محمد بن أبي عون إلى ولايتها، فعادت أحسن ما كانت، وأمراء تلمسان لذلك العهد من الأدارسة بنو أحمد بن محمد بن سليمان، وسليمان أخو إدريس الأكبر كما ذكرناه. وكانوا يقيمون دعوة الأموية لذلك العهد". المصدر السّابق، ج6 ص191.

83- بنو مسكن: وتُنطق بنو مسقن وبنو مسغن وهم بطن من بطون إزداجة. المصدر نفسه، ج6 ص.191

84-استمرّت الدّولة الفاطمية في المغرب الاسلامي من سنة (296هـ/909م إلى غاية 440هـ/1048م). ينظر: فرحات الدّشراوي، الخلافة الفاطميّة بالمغرب(296- 365/909-975م)، ترجمة حمّادي السّاحلي، ط1، بيروت، 1995م/أمين كرطالي، سلطة شيوخ القبائل العربية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر 2، 2017-2018، ص38.

85- يقصد مدينة تيارت أو تيهرت، وهي مدينة جزائرية غرب الهضاب العليا، وهي في الأصل مدينة رومانية أُسّست على أنقاضها مدينة إسلاميّة على يد عبد الرّحمن بن رُستم، لتُصبح عاصمة الدّولة الرّستميّة، وخلال العهد العثماني كانت تابعة لبايلك الغرب.

86- اسمه أبو حميد دواس بن صولات اللهيصي، ولهيصة هي فرع من كتامة. ابن خلدون، المصدر السّابق، ج6 ص196.

87- فراغ قدر كلمة، وهي عند البكري"نفزة".

88- يقصد إزداجة: يقول عنهم ابن خلدون: "أما أزداجة ويعرفون أيضا وزداجة فمن بطون البرانس، وكثير من نسّابة البربر يعدّونهم في بطون زناتة. وقد يقال إن أزداجة من زناتة ووزداجة من هوّارة، وأنهما بطنان مفترقان وكان لهم وفور وكثرة. وكانت مواطنهم بالمغرب الأوسط بناحية وهران، وكان لهم اعتزاز وآثار في الفتن والحروب". ابن خلدون، المصدر السّابق، ج6 صص 190-191.

89- قتيلة كلمة دارجة معناها مَقْتلة، ولا نزالُ نسْتعملها إلى اليوم.

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

90- كلام البكري عن وهران هذا نصّه: "ومدينة وهران حصينة ذات مياة سائحة وأرحاء ماء وبساتي، ولها مسجد جامع، وبنى مدينة وهران محمّد بن أبي عون ومحمّد بن عبدون وجماعة من الأندلسيّين البحريّين الذين ينتجعون مرسى وهران باتّفاق منهم معنفزة وبني مُسقن وهم أزداجة، وكانوا أصحاب القرشي سنة تسعين ومائتين، فاستوطنوها سبعة أعوام. وفي سنة سبع وتسعين ومائتين زحفت قبائل كثيرة إلى وهران يُطالبون أهلها بإسلام بني مسقن إليهم لدماء كانت بينهم، فأبى أهل وهران من إسلامهم إليهم فنصبوا عليهم الحرب وحاصروهم ومنعوهم الماء. فخرج عنهم بنو يسقن ليلا هاربين واستجاروا بأزداجة وأجاروهم وتغلّبوا على أهل مدينة وهران وخرجوا عنها مسلّمين في أنفسهم ,اسلموا ذخائرهم وأموالهم، وخربت وهران وأضرمت نارا، وذلك في ذي الحجّة من هذه السّنة، ثمّ عاد أهل وهران إليها في السّنة التي بعدها، سنة ثمان وتسعين ومائتين بأمر أبي حميد دوّاس بن صولات-ويقال داود- عامل تيهرت، وابتدءوا بنيانها في شعبان من هذه السّنة، فعادت أحسن ممّا كانت وولّيّ عليهم داود بن صولات اللهيصي محمّد بن أبي عون". أبو عبيد عبد الله البكري الأندلسي، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، تحقيق حماه الله ولد سالم، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2013م، ص156.

91- في الهامش "عـ اللمتونيين"، والذي ذكره البكري:"ولم تزل في عمارة وكمال وزيادة وحُسن حال إلى أن أوْقع يعلى بن محمّد بن صالح اليفرني بأزداجة بجبل قيدر وفرّق جماعتهم، وكانت الوقيعةُ بينهم يوم السّبت للنّصف من جُمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة". المصدر نفسه، ص156.

92- ذكر البكري اسم هذا الجبل، وهو جبل كيدزة المُشرف على وهران. يراجع البكري، المصدر نفسه، ص156/ابن خلدون، المصدر السّابق، ج6ص191.

93- نصّ كلام البكري: "وفي عمل وهران قرية أهلها موصوفون بعظم الأجساد ومعروفون بشدّة الأيْد. أخبرني غير واحد أنّه رأى الرّجل الكاهل في الخلق المعهود يكون إلى دون منكب الرّجل منهم، وأنّه كان منهم رجل يَحمل ستّة نفر ويخطو بهم خُطوات". المصدر السّابق، ص156.

94- يقصد المؤلّف دولةَ المرابطين التي حكمت ما بين (448-541هـ/1056-1146م)، و كانت الزّعامة فيها لقبيلة لمتونة، وهم من صنهاجة الجنوب، بينما يدّعي نسابتهم أنّهم من العرب القَحْطانيّة، وقد تمكّن أميرهم يوسف بن تاشفين من تأخير سُقوط الأندلس، والقضاء على ملوك الطّوائف بها، ووصل نفوذهم إلى تلمسان مجاورين للحمّاديين من صنهاجة الجنوب. ينظر: علي بن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض االقرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطّباعة والوراقة، الرّباط، 1792م/إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرّشاد الحديثة، الدّار البيضاء، 2000، ج1صص151-.305

95- ولي في 8 رجب 537هـ/26جانفي 1143م، واشتغل بقِتال الموحّدين، وفي ليلة السّابع والعشرين من رمضان سنة 539هـ/ 25 مارس 1145م، وصل من تلمسان إلى قُرب وهران، فاتّبعه عسكرُ المُوحّدين وحَصروه وضيّقوا عليه، ففرّ هاربا ليلقى حتفه بعد أن سقط به فرسه في حافّة عظيمة. أحمد بن محمّد بن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق بشّار عوّاد معروف ومحمود بشّار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2013م، ج3 صص85-88.

96- بل وفاته كانت في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة للهجرة.

97- نصّ الراشدي: "فلمّا كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة صعد تاشفين إلى ذلك الرّباط ليحضر الختم في يسير من خواصّه، وكان عبد المومن قد أرسل عسكرا إلى وهران؛ فوصلوا في سادس عشر رمضان ذلك فأعلموا بانفراد تاشفين فأحاطوا به، وأحرقوا باب الرّباط فخرج تاشفين راكبا فرسه، وشدّ ركضا ليثب النّار فترامى به الفرس هاربا، ولم يمكنه اللّجام حتى تردّى من جرف فهلك". المصدر نفسه، ص193.

98- أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان: قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الإربلي الشافعي، ولد بإربل سنة 806هـ، وتوفي سنة 681هـ. ينظر حول ترجمته شمس الدين أحمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر: بيروت، ط1، 1900م، صص1-13.

99- يقصُد كتاب وفيات الأعيان، وهو مُعجم ترجم فيه لكلّ من اشتهر ذكره، وهو كتاب غني من حيث المادّة العلميّة والمعلومات التاريخيّة.---100- ذكر ترجمته في وفيات الأعيان، المصدر نفسه، ج4ص.385

101- يقصُدُ كتاب عنوان الدراية فيمن عُرِف من العُلماء في المائة السابعة ببجاية، من تأليف أبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني(644هـ - 714هـ).

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

102- أبو تمّام وليس أبو تميم من عُلماء القرن السّابع، ونصّ ترجمته: ((أبو تمام الواعظ الوهراني: ومنهم الشيخ الفقيه العابد الصالح المبارك، المتعفف المتذكر، أبو تمام الواعظ من أهل وهران، سكن بجاية واشتغل بها بعلم التذكير واستدعى الخلق لباب الله تعالى، وكان له مجلس يروق الحاضرين ويسر الناظرين، وكان جلوسه بالجامع الأعظم شرفه الله بذكره، وكان يوجد لكلامه في النفس أثر، وكان الغالب عليه الخوف، وكذلك كان مجلسه إنما هو التخويف، وكان له أتباع من الجمهور وكان له تبتل وكد في العبادة، ورأيت من أصحابه المتعبدين من كاشفني بالكرامات ورأيتها منه غير مرة. رحم الله جميعهم واعلقنا بحبهم بالحبل المتين آمين)). أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السَّابعة ببجايَة، تحقيق: عادل نويهض، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة: بيروت، 1979م، ص.199

103- هو أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال المتوفى سنة 578 هـ، وكتابه الصّلة في تاريخ أئمّة الأندلس.

104- ذكره جورجيوس باسم Ben el khavaz، ولذلك أخطأ المؤلف في ذكر اسمه، والصّحيح أنّ اسمه هكذا: عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني الوهراني، ويعرف: بابن الخراز. من أهل بجانة، يكنى أبا القاسم. روى بالمشرق عن أبي محمد عمر بن شبوبة المروزي، وعن أبي محمد الحسن بن رشيق المصري، وعن أبي بكر محمد بن صالح الأبهري الفقيه، وعن أبي الفيض أحمد ابن محمد المروزي، وتميم بن محمد القروي وغيرهم، توفي سنة 411هـ بألمرية.. أبو القاسم خلف بن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، ط2، 1955م، ص305/ A. Gorguos, ibid, p457

105- لفظ الحديث عند البخاري: "من اغبرت قدماه في سبيل الله حَرّمهما الله على النار"، محمّد بن إسماعيل البخاري، الجامع صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج2 ص7.

106- يبدأ فراغ بقدر 23 سطر، ويبدو أنّ المؤلّف أراد ترك فراغ حتّى يملأه بسيرة محمّد بن عمر الهواري. وهي الترجمة التي ذكرها جورجيوس ينظر: A. Gorguos, ibid, pp458-461 .

107- تازة: مدينة مغربية عريقة تقع شرق مدينة فاس وتبعد عنها ب120كلم.---108- لفظ القصيدة

أَرَى العُمْرَ يَفْنى وَالزَّمَانُ طَوِيلٌ وَلَيْس إلى قُرْب الْحَبِيــــبِ سَبِيل

حَبَاهُ إِلَهُ الْخَلْقِ أَحْسَن سِيرَةٍ فَمَا الصَّبْرُ عَنْ ذَاكَ الجَمَالِ جَمِيل

مَتَى يَشْتَـــــفِي قَلْبِي بِلَثْمِ تُرَابِهِ وَيَسْــمَــحُ دَهْرٌ بِالوِصَالِ بَخِيــــل

الراشدي، المصدر السّابق، ص195.

109- محمّد بن عمر الهواري المغراوي: ولد بكلميتو على بعد عشرين كلم شرق مدينة مستغانم عام 751هـ(1350-1351م) وتوفي بوهران صباح السبت 20ربيع الثاني عام 843هـ(12سبتمبر 1439م) وهو من رجالات التصوّف. أخذ بفاس عن موسى العبدوسي والقبّاب وببجاية عن شيخها أحمد بن إدريس، وعبد الرّحمن الوغليسي، وسافر إلى فاس ثمّ إلى المشرق للحجّ فدخل مصر وأخذ عن القرافي ودخل بيت المقدس، ثمّ عاد إلى المغرب الأوسط واستقرّ بوهران، لم تكن له مؤلّفات، ووقد أكثر من ترجم له من ذكر كراماته، ما حصل له مع الظّلمة من شيوخ العرب، ودعائه على وهران. محمّد بن مريم التّلمساني، البُستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2014م، صص399-410/المزاري، المصدر السّابق، ج2ص68.---110- عندنا في الغرب الجزائري، نقول عن الشيء المشهور أنّه شايع أي شاع ذكره، ومنه قول العامّة عن الرّجل المشهور "شايع".

111- يقصد ابن صعد والمؤلف ترجم لفظة Ibn s'ad بطريق الخطأ وهو: محمّد بن أحمد بن أبي الفضل بن صعد نشأ في تلمسان، ثم قصد مصر في أواخر حياته وتوفي بها سنة 901هـ/1496م، أخذ عن جماعة من أهل العلم منهم سيدي محمّد بن العبّاس والحافظ التنسي والإمام السنوسي له كتاب النّجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب، وروضة النّسرين في مناقب الأربعة المتأخّرين، وتأليف في الصّلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلّم، وفيه يقول بعض الفضلاء:

إِذَا جِئْت لِتِلِمْسان فقل لصِنْديدِها ابْن صَعْد

عِلْمُك فاق كلّ علم ومَجْدُك فاقَ كلَّ مَجــــدٍ

ينظر : ابن مريم التّلمساني، المصدر السّابق، صص435-436/محمّد بن أحمد بن أبي الفضل ابن صعد، النّجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، تحقيق محمّد أحمد الدّيباجي، دار صادر، بيروت، ط1، 2011م، مقدمة المحقق، صص7-11.

.A. Gorguos, ibid, p458

112- يقول الراشدي: "ومن تأمّل هذا الكلام علم أنّه أتى بهذا الماء من مكان بعيد، خلافا لما يعتقده النّاس من أنّ أصله بين أبراج البلد، وربّما أرشد إلى ما قُلناه قول سيدي الحسن بن مخلوف، وقد ذُكر عنده الماء المذكور بحضرة بعض حفدة سيدي محمّد الهواري: "لو شاء جرّ هذا لأتى به من تاسالة". يُنظر: الراشدي، المصدر السّابق، ص197؛ ولا أظنّ هذا الكلام صحيحا بل ما ذكره زعيم مزعران الذي سنُشير إلى كلامه هو الصّحيح، لأنّه من المتعذّر على إبراهيم التّازي أن ينقل الماء من مكان من جبال تاسالة؛ فإمكاناته لم تَكُن لتسمح له بإنجاز هكذا مشروع.

113- هنا خطأ تابع فيه المؤلّف التّرجمة الخاطئة لجورجيوس، والذي في الثغر الجماني سيّد الزّعيم مزعران، ولا يوجد في كلامه عبارة المدفون بمزغران، ومزغران هي إحدى بلديات دائرة حاسي مماش التّابعة لولاية مستغانم. يراجع: ابن سحنون، المصدر السابق، ص197؛ A. Gorguos, ibid, 462

114- يشير بذلك إلى كلام الراشدي الذي نصّه: "فهذا يومئ إلى بُعد مقرّ هذا الماء عن البلد، وقد عيّنه سيد الزّعيم مزعران حيث قال من الملحون:

غَاسَت الأشْراف وأين هو زيان وابْراهِيم الظَّرِيف التازير يُذْكَـــر
كانت دار القرار له وهــــــران جمع راس العهيون من يفري للحر

يُنظر: الراشدي، المصدر السّابق، ص.197

115- مطلع القصيدة:

تُعَاتِبُنِي فِي الجُودِ وَالجُــودُ شِيمَتِي	وَمَالِي بِتَبْدِيلِ الطِّبَــاعِ زَعِيـم
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الجُــودِ أَمَّـا حَدِيــثُهُ	فَجِـلٌ وَأما حبُّــــه فَقَدِيـم
وَلَا خَيْـرَ فِيمَــنْ لَا يُعَـاشُ بِعَيْشِهِ	وَلَـو أَنَّـه فَوْقَ السَّمَـاءِ مُقِيم
ذَرِينِي فَـإِنَّ البُخْـلَ عَــارٌ بِـأَهْـلِهِ	وَمَا ضَرَّ مِثْلِي أَنْ يُقَـالَ عَدِيم
أَرَى كُـلَّ طَلْقٍ كُـلَّ خَلْـقٍ حَمِيمُهُ	وَلَيْسَ لِمَقْبُوضِ اليَدَيْنِ حَمِيم
وَكَيْفَ يَخَافُ الفَقْرَ أَو يُحْرَمُ الغِنَى	كَرِيـم وَ رَبُّ العَــالَمِيـن كَرِيم

الراشدي، المصدر السابق، ص197.

116- الصحيح أنه توفي في التاسع شعبان سنة 866هـ، وهي السّنة التي ذكرها النّاسخ أو المؤلّف في الهامش، وهو التّاريخ الموافق لـ 9ماي 1462م. ينظر ابن مريم، المصدر السابق، ص147.3

ردمد ISSN 2170-1636 / EISSN 2600–6324 / الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

مخطوط "نبذة من سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران" لمؤلف مجهول- دراسة وتحقيق- الجزء الثاني.

Manuscript "Overview of the Biography of Mohamed Fatih Thaghr Oran" by an Unknown Author – Study and Investigation- Part 2

صص224- 250

د. أمين كرطالي Kartali amine
دكتوراه علوم- تاريخ وسيط- (الجزائر)
kartaliamine@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2019/09/10 تاريخ المراجعة: 2019/09/16 تاريخ القبول: 2019/09/21

الملخص بالعربية: هذا العمل هو الجزء الثاني من نشر وتحقيق لمخطوطةٍ موجودةٍ بالمكتبة الوطنية تحت رقم 5022، عنْونَها صاحبها هكذا: "نُبذة من سيرة الباي محمّد فاتح ثغر وهران"تتطرّق إلى سيرة الباي محمّد الكبير وجهوده في تحرير مدينة وهران وأهمّ مشاريعه ومُنجزاته السياسيّة والعسكريّة والحضاريّة، وقد بيّنتُ فيه أنّ المخطوط هو مجرّدُ ترجمةٍ من الفرنسيّة إلى العربيّة لدراسة جورجيوس (A. Gorguos) حول الباي محمّد الكبير، والصادرة بالمجلّة الإفريقيّة في العددين الأوّل سنة 1856م، والعدد الثاني 1857م. وقد قُمت أثناء نشْر هذا المخطوط بالتّعليق عليه في الهامش ومُقارنة ما فيه من معلومات مع ما هو موجود في المصادر التاريخيّة التي اعتمد عليها A. Gorguos.

الكلمات المفتاحية: الباي؛ محمد الكبير؛ وهران؛ فليتة؛ جورجيوس؛ الثّغر الجماني؛ ابن سحنون الرّاشدي، الإصبانيول؛ الجزائر؛ إبراهيم التازي؛ مستغانم.

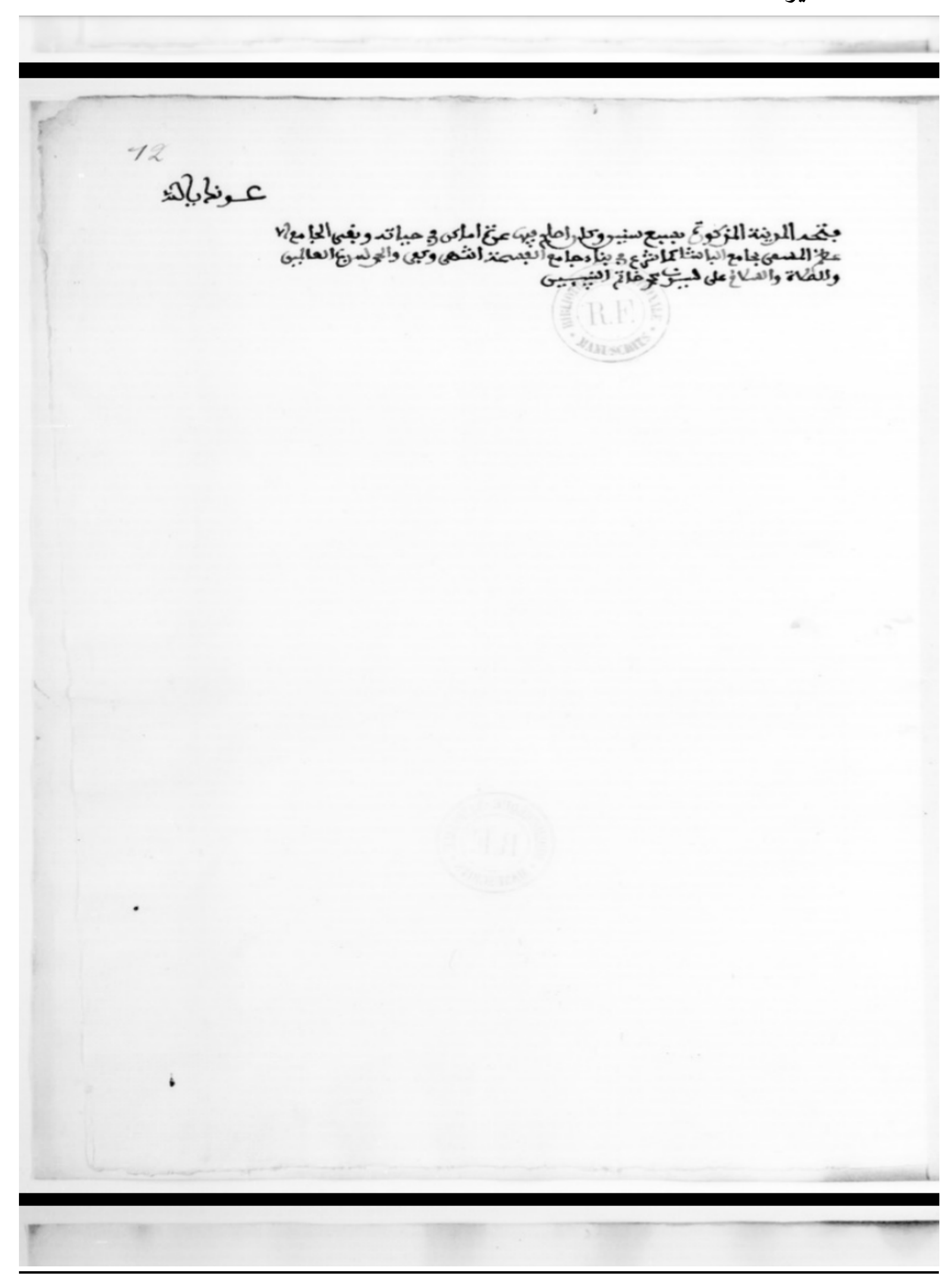
***ABSTRACT*:** This work is the second part of the publication and realization of a manuscript in the French National Library under number 5022; in which the author addresses the biography of the great Bey Mohamed, his efforts for liberating the city of Oran from the Spanish occupation, and his most important political, military and civilisational achievements. It shows that the manuscript is just a translation from French to Arabic for the study of Georgios A. Gorguos about the great Bey Mohamed, published in the African Journal of 1856 and 1857. The manuscript deals with the life of the man and his work, and the opening of the city of Oran. I defined the manuscript, explained its tasks, compared its content with what is contained in historical sources, and commented on what needs to be commented on.

Keywords: Al-Bey Mohammed Al-Kabeer; Oran; Fleeta; Georgios; Thaghr el Jomani; Ibn Sahnoun Al-Rashedi, Espanol; Algeria; Ibrahim Tazi; Mostaganem.

الصفحة الأولى:

ردمد **ISSN 2170-1636 / EISSN 2600–6324** / الإيداع القانوني: **2014- 1156 Depot Légal**

الصفحة الأخيرة:


12

عونك يا الله

فتجد المدينة المذكورة بجميع سنين وكل ما صلح فيها عن أماكن في حياته وبقي الجامع إلا
عن المسمى بجامع الباشا كما شرع في بناء جامع الجديد انتهى وكتب والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين

ردمد 2170-1636 ISSN / EISSN 2600–6324 / الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

السّبب في أخذ الاصبانيول وهران المرّة الأولى: ولنذكر الآن ما بقي من سيرة الباي محمّد مع الاصبانيول، وذلك أنّ جنس الاصبانيول لمّا أطرد بقية المسلمين الذين تملّكوا في الأندلس، ووقف المسلمون المخيمون بشاطئ البحر من بر الجزائر إلى أقصى الشطوط الغربية على عمارة مراكب قرصان بقصد الغارة عليهم وعلى جنس البورطقان –قاف ثلاثية-، ثمّ لما عاين هاذان الجنسان من المَسلمين التعدي والنهب، ظهر لهما في الحركة إليهم فتوجّهوا نحوهم في عمارة مراكب، وقاتلوهم في مراسي البحْر المُحيط، ومراسي البحر الأوسط، بالأماكن التي كانوا يلتجؤون إليها، وفي سنة 1401 مسيحية توجه احد ميرانطة البحر من جنس البورطقال إلى مدينة وهران فقاتل أهلها ولمْ يحصل على طائل في مراده[1].

ثمّ بعد خمسة أعوام حرك ديقواد كوردوا إلى مرسى الكبير[2] في وهران وتملك بها في دولة السُّلطانة المسيحية جان ذي صبانيا[3] وفي سنة 1509 مسيحية المطابقة لسنة أربعة عشرون وتسعمائة هجرية قدم الكاردينال قريمينياس[4] أيضا إلى وهران بعمارة غزيرة، وجيش يشتمل على خمسة عشر ألف مقاتل، وكان كبير الجيش يسمى دون بييدرو دو نفار[5] فاستولى على المدينة دون مشقة وأدنى كلفة، لأنَّ أحد اليهود والمسلمين الذين كانوا مكلّفين بقبض مداخل الغرب للسُّلطان قلموس الزناتي هم الذين سلّموا بيده المدينة[6]، فما كان إلّا قليلا وإذا بيد الإصبانيول امتدّت على بر وهران، واتّسع حُكمه به.

ثمّ إنّ بعض الأعراش الذين بجوارها أذعنوا لطاعة تلك الأمراء التي ظهرت عندهم، وقد مدّوهم بمدد الجيش من عندهم لتمهيد المعاندين والعُصاة الذين أرادوا الفتنة[7]، وفي أقرب مدّة صار البعض منهم يدفع للاصبانيول الغرامة والبعض متَّفقٌ معه ورفيقا إليه من وهران إلى جبل راشد، وقد بلغت محلته مرارا إلى غريس وجبل هوارة من بلد بني شقران وغيرهم أهل تلك الناحية. وفي إحْدى حركاته هدَمَ الرِّباط المُسمَّى كارط في نواحي معسكر وأسر أهله[8] وأمّا أهل القلعة وبلد بني راشد ولباطة وسرات وملاتة وتليلة[9]كانوا يُقدُمون إلى وهران وقتئذ لبيع الحُبوب، وجميع مشايخ بلادهم. فظهر للاصبانيول الإقامة بها والاستيلاء على جميع الغرب الأوسط.

وإنّ غالبَ الفوز العظيم الذي حصل له هو الخلاف الذي كان واقعا بين زناتة تلمسان حتى أشرفوا على الهلاك بسبب القتال، والفتنة التي حلّت بينهم.

قدوم التّرك للجزائر وتلمسان خير الدّين في الجزائر وعرّوج في تلمسان: لكن الاصبانيول حصلت له ضرورة بقُدوم عرّوج وأخيه خير الدين وقتئذ للاستقرار بالجزائر[10]، فوقف هذان الأخوان على تأْسيس حُكم التُّرك الذي انتشر من تونس إلى إيالة الغرب في مدة قليلة، فالتزم الاصبانيول وقتئذ الدّفع عن رعية وهران التي كان استولى عليها هذا. وأمّا العرب أعداءُ النَّصَارى فإنّهم كانوا يظنُّون في التُّرك المسلمين أن يمنعوهم من عدوّهم، ويشْعُرون بهم، ولم يعْلَموا ما كان مخبَّئا لهم من المظالم الشَّديدة[11].

ثمّ لمّا استولى عروج على الجزائر كان أحد أُمراء زناتة الذي زعم ظلم عمّه المسمى أبو حمو[12] بعث إلى عروج يُحرِّضُه على القدوم إليه، فتوجه نحوه بسُرعة، ولمّا سَمِع أبو حمو بقدومه هرب، وفُتحت أبوابُ مدينة تلمسان لدخول عروج، وكان أمير زناتة المتقدم ذكره يُرتجي منه الخير والنُّصْرة فإذا به ظهرت منه الخديعة بقتل سبعة أمراء من زناتة أشرّ/5ظ/ قِتْلة، وحاز سلطنة تلمسان لنفسه كما قتل سبعين رجلا من ذرية عبد الواد، وما يزيد على الألف من أعيان تلمسان[13]. وأمّا الاصبنيول فإنّه وقف على نصرة أبي حمو المذكور الذي كان في حزبه، وتحت حمايته، ولذلك أرْسل جيشه إلى حصار القلعة التي كان الاسكندر خليفة عرُّوج يُدافع عنهامع أخيه إسحاق، فطال ما قاتل أهل القلعة، ولمّا عجزوا عن دفع الاصبانيول استولى عليها، وقتَل الأخوين إسْحاق والاسكندر، فعند ذلك تقدّم جيش الاصبانيول إلى تلمسان وحصرها، فالتزم عروج الفرار منها، والتزم الاصبانيول في طلبه إلى أن ظَفر به وقتله في جبل بني موسى على طريق وهران[14].

ولمّا تحكَّم أبو حمو على تلمسان دام على المحبة والنَّصيحة للاصبانيول، وحين تُوفيَّ أبو حمو تولّى مكانه أبو سرحان المسعود، وكان أخوه الأمير عبد الله الذي يطول شرحه هنا التجأ إلى وهران مشتغلا بعزْل المسعود من الحكم، ولمّا أيس من نُصْرة الاصبانيول وانقطع رجاءُه منهم طلب الاعانة خُفيةً من خير الدّين فوجد خيرُ الدين فرصةً في ذلك ليخلف ثأرَ أخيه عروج، وليمتدَّ حكمُه، فحرّك إلى المغرب، ولمّا علم

ردمد 2170-1636 EISSN 2600–6324 / ISSN / الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

عبد الله بحركته خرج من وهران خفية، واستولى خير الدين على القلعة وتلمسان حينا ووليَ عبد الله السّلطنة.

جهود العثمانيّين لتحرير وهران قبل الباي محمّد الكبير: فهذا سبب انتشار حُكْم التُّرك وإسْقاط دولة الاصبانيول، فما كان إلا قليلا وإذا بتلمسان خرجت من حكم أُمرائها الذين ضَعُف حالُهم، ودَخلت في حِزْب الجزائر، فحينئذ تضايق الاصبانيول، واكتفى بأسوار مدينة وهران، لتُرادف محالات باشاوات التُّرك عليه لصولتهم واستيلائهم على البر. ثمّ إنّ بجاية كانت في ذلك الوقت لا زالت بيد الاصبانيول، وقد اطرده منها قُرصان رايس صالح[15] الذي كان هو الوالي الثَّاني بعد خير الدين، ولمّا حاز هذا الفوزَ ازداد قريحةً ونشاطْ في طرد الاصبانيول من بقيَّةِ الإقْليم، وطلب من السُّلطان المعونة على ذلك، لأنّه كان في حزبه فأمدّه بأربعين سفينة وجيشٍ من التُّرك زعم المؤرخون أنه كان في عدد قدره ستة آلاف مُقاتل. وأما صاحب التاريخ المسمى مارمول[16] فإنه اختصر بثلاتة آلاف تركي فقط زعم قُدُومها مع أمر رايس المذكور إلى قتال وهران لكنَّه مات بالوباء قبل أن يبلغ المقصود، وقد تولّى مكانه حسن قورصو[17]، وكان مُبغِضًا للاصبانيول كبُغْض رايس صالح، فأراد الامتثال بسيرة من كان قبله وأرسل السفائن ساعة وصولها إلى مرسى الكبير في وهران، وهو توجَّه في البر بمحلة تشْتمل على ثلاثة آلاف مُقاتل من عسكر الوُجاق فيما ذكره المؤرخ مارمول، وأربعة عشر ألف مقاتل من أهل البلد وثلاثين ألفا من العرب، ويُحتمل أنّ في هذا العدد مبالغةٌ. فشرَع في حصر وهران برا وبحرا، وجعل مِترسين؛ أحدهما مقابلا للباب المسمى باب تلمسان، فتفوّهت ثقوب المدافع بالنيران على المنحصرين، ومنهم كذلك. فبينما النّارُ موقدةٌ، وإذا بسُلطان إسلامبول أمر سفائنهبالتعرض إلى أندري دوريا[18] الذي كان واقفًا على الفساد والنَّهب في الجزائر التي بناحية القراية، ولمّا ذهبت نُصرة السّفائن عليه، حصل له الإياس من أخْذِ المدينة ورجع للجزائر.

ثمَّ بعد حَسن قورصو تولّى حسن بن خير الدين باشة[19] في الجزائر رابعا وطلب قتال وهران وقد شرع التُّرك في تشْديد الحصار على وهران في شهر ماي سنة ثلاثة وستين وخمسمائة وألف مسيحية، فأخذ الباشا حسن بن خير الدين البرج المسمى برج المرسى الأعلى، وهرب النَّصارى منه، وهدمه الباشا المذكور في ليلة السَّبت خمسة

عشر رمضان عام سبعين وتسعمائة هجرية[20]، ولمّا فاز الفوز الأول حصل له النَّشاط وهجم على البرج المسمى سان ميشيل خمس مرات مترادفَةٍ دفع فيها القتالُ الشَّديد حتى التزم أهل البرج التَّسْليم على شروطٍ، ثمَّ هَجم التُّرك على سائر الأماكن دُفعةً واحدة، هذا وإن كان حسن باشا وجيشُه قاتلوا بقوَّة عظيمة، وشجاعةٍ كاملة فلم يحصلوا على/6و/طائل في مرادهم.

وفي اليوم الخامس من جوان هجموا الهجمة الأخيرة التي هي أشدُّ قتالا من الأولى، ولم يبْلغوا المُراد، فعند ذلك سمع الباشا حسن بقدوم أندري دوريا المتقدم ذكره(فراغ قدر كلمة) دي ماندور بعمارتي مراكب مُسْرعة فأيِس النَّصر وتخلف عن الرباط والحصر[21].

وقد ذكر الجُماني في تاريخه وقوع حركة أخرى إلى مدينةِ وهْران تحت أمْر إبراهيم خوجة[22] فجعل متارس ونصب المدفع على كُديةٍ هناك تسمى مايدة مطلّة على وهران، ورمى على البلد منها لكنّ الجُماني لم يتكلم عن تلك الوقعة. كما أن مولاي إسماعيل صاحب إيالة المغرب أراد التَّجربة في حصر وهران فما لبث غير قليل وإذا به رأى في نفسه قِصَر اليد، وقد زعم النَّاس أنّه لمّا أمر المحلَّة بالرَّحِيل قال للأقربين منه: "وهران كلفعة[23] تحت صخرة يا ويح من أضر بها"، كما أنّ الاصبانيول كان يدْفعُ عن نفْسه مرارا ومع ذلك فمهما وجد التركُ فرصةً قدموا إليه، وكان بايات الغرب دائما يتمرّدون عليه بالغرب فإذا خاب سعْيُهم أحيانا يجعلون غضبهم على الأعراش التي كانت تركنُ إلى الاصابانيول لمصالحهم.

هذا وإنَّ سواحل مدينة وهران كانت لم تفرغ من القتال مدة زمانية، ولم يعلم الناس بذلك حتى قيل أن أهل عسّة وهران كانوا لا يقدرون على الخروج من حصونهم إلّا بالقتال، ثمّ أن الباي شعبان والباي بوشلاغم[24]هما اللذان كانا مُلازِمَين لقتال وهران، ورعيَّتها أكثر من غيرهم فأما شعبان توفي في معركة طويلة جرت وقتئذ وأمّا بوشلاغم فقد صادف بختا بنُصرة أخذ فيها الاصبانيول ونزع من يديه كلّ من كان احتوى عليه أوَّل مرة، وممّا ذكره الحلْفاوي عن موت شعبان ما نصّه: "كان شعبان اشتهر عن أقرانه بايات الغرب بقتال الاصبانيول السّاكن بعمالته، وأشهر وقعة هي الوقعة التي مات بها وذلك في سنة ثمانية وتسعين وألف هجرية المطابقة

ردمد 2170-1636 ISSN / EISSN 2600–6324 / الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

لسنة 1272 مسيحية، وظهر منه في آخر معركاته شجاعةً وثباتًا ما يتجاوز عن شجاعة عنتر بن شداد"[25].

وقد ذكر أحدُ الحاضرين بها أنه لما اختلطت العساكرُ مع بعضها تكسَّرت سيفان بيد شعبان، وأظهر غاية الجُهد الذي ليس له مزيد، وكان وقتئذ لابسًا أفخَر ملابسه، راكبًا على أحد عِتاق خيله، وكان قبل ظهورِ العدوِّ واقفا على ترتيب صفوف العسْكر، ويُنادي بأعلى صوته "تعالوا ! اليومَ المشهدُ وتحزموا للقتال. وكان يسْعى بكلامه فيما يُحرِّك قريحتهم ويزيد في نشاطهم، ولمّا ظهر العدو بصولة وجسارة عظيمةٍ في عدد قدرُه ثمانية آلاف مُشاة، ونحو الألف فارس، وكان مُشاةُ المسْلمين نحوُ نصف عدد العدوّ غير أن خيَّالتهم أكثر منه. ومن جُمْلة ما وقع في ذلك اليوم أنَّ العسكر كان مربوطا بجبل ليثْبُت في القتال بمكانه لئلا يهْرب، ثم التقى الفريقان، وشرعَ كلُّ واحد منهما في القتال، فهجم شعبان مع الاصبايحية[26] هجمة الأسود، وشتَّت في صَدْمته شمل خيالة الاصبانيول، ثم التفت إلى مُشاة العدوِّ، وكان عسكر التُّرك في أثره فما كان إلا قليلا واذا بالمشاة والخيالة اختلطوا مع العدوِّ، وصار قتالا شديدا، وإنْ كان البَارود لم يتكلَّم في ذلك اليوم إلا قليلا، فإنّ السَّيفَ كان لم يُغْمد فيه وانهزم الاصبنيول هزيمةً شديدة، مات ألف ومائة نفس من عسكره، كما مات شعبان في ذلك اليوم. وإنَّ الذي قتله عربيٌّ من بني عامر فصلب النّصارى رأْسه على باب مدينة وهران، وكلَّما جنَّ اللَّيل أوقدوا فوقه منارة، وبعد مدّة أعطاه الاصبنيول للمسلمين الذين وقفوا على دفنه مع جيشه[27].

تحرير وهران الأوّل ثم استعادة الإسبانيين لها: هذا ولم يسترح الاصبانيول بعد مدة قليلة من موت شعبان، وإذا بوهران صارت كالنَّيشان للبايات يتداولون عليها بالقتال، وفي سنة سبعة عشر ومائة وألف هجرية مطابقة لسنة 1705 مسيحية أوجدَ الباشا حسن خوجة محلَّة جديدة، ليخلِف ثَأر شَعبان، لكنْ دركته الوفات[28] أيضا، ولم يبلُغ المراد. وفي سنة ثمانية عشر ومائة وألف أواخر شعبان تولى محمّد خوجة بن علي بن محمّد المعروف بباكتاش، عند التُّرك مكانه واستقل بتكمِيل حركة المحلّة التي كان أسَّسها، وكان قبله للتوجه إلى الغرب، وكانت تلك الجهة وقتئذ على يد الباي/6ظ/ مصطفى الملقب بوشلاغم والمعروف عند الاصبانيول بقيطيلوس هكذا ذُكر في

ردمد 2170-1636 ISSN / EISSN 2600–6324 / الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

تواريخهم، وكانت قرية مازونة[28] هي قاعدة العمالة الغربية، فاشتغل حكم بوشلاغم إلى أم العساكر، ليكون نظره قريبا من الأعراش ليضبطهم ونبّه على الجهاد، فاجتمع قُرب وهران جيش غزير. ثمّ إنّ باكتاش المذكور بعث عسكر التُّرك من الجزائر في نحو الخمسين وطاف، وجعل إمرتهم على يد صهره وخليفته أُزن حسن، وكُلَّما اجتازت هذه المحلة على موضع ازداد جيشها، وفي اليوم الرابع عشر من ربيع الأوّل سنة تسع عشر ومائة وألف هجريّة مطابقة لسنة 1707 وسنة 1708 م بدأَ الحصارُ لها وهجم جماعة منهم على برج العيون، فسلم في اليوم العاشر من جمادى الثاني وفتحوا برج الجبل في اليوم السّابع والعشرين من الشّهر كما أخذ برج الزهرة[29] في اليوم الخامس من شعبان، وفي اليوم الثامن عشر منه أبْطلت نارُ برجِ اليهود محاصله. في اليوم السّادس والعشرين من شوال تفتحت أبواب مدينة وهران، ثمّ بعد أيام برج الأحمر وبرج مرسى الكبير سهل أمرهما امتثالا لما تقدم.

ثمّ إن الباي بوشلاغم لما أظهر غاية الاجتهاد والشَّجاعة وحُسْن التَّدبير مدة حركته صار له ذلك من جملة الأسباب لنُصْرته، ولذلك تفضّل عليه الباشا باكتاش بإضافة وهران إلى رعيَّة الغرب جزاءً لحُسن خِصلته. ثمّ كانت هذه المدينة أفخر مُدن العمالة، صارت مستقرّ البايات فمكث فيها بوشلاغم مدة خمسة وعشرين سنة متلذذا بالهناء الذي حصل له ونصرته وأمّا الاصبانيول فإنه كان مهما تفكّرَ ضياع ما كان بين يديه تأسّف عليه حسرة وندامة، وبعد تخلّصه من الأمور المهمّة التي أشْغَلت باله في نواحي أوربا على الرُّجوع إليها ثانيا ليتولى عليها، وفي اليوم الخامس عشر من جوان سنة 1732م[30]، خرجتْ عمارة في شطوط صبانية تحت أمر الكونط دمونطراد[31] وفاز بسرعة على وهران فوزا كاملا، فدَخلها في أوَّل جولييت بعد قتال ضعيف، فحينئذ هرب منها بوشلاغم عاجلا، وامتلأ قلبُه غيظًا على فِراق تلك الحصون المشيَّدة التي ساعدته الأيام من الظَّفر بها بعد المُكْث فيها مدة ربع قرن، فالتجأ إلى مستغانم لأنَّه شقَّ عليْه البُعد منها أكثر من ذلك، ثمّ لم يبق فلبث إلَّا قليلا وإذا به تحرك غضبه، وجدَّد القتال لكنه لم يجد في قتاله غير الغرور، وقبل وفاته طلب من الباشا باكتاش المدد بالمعونة فأرسل إليه ولده مع عسكر الترك وفي الحين قام بهم هذا الباي الذي أدركه الهرم إلى القتال، وفي افتتاح الحرب وقعت معركات[32]

ردمد 2170-1636 EISSN 2600–6324 / ISSN / الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

شديدةٌ لكنّ الاصبانيول كان ازداد تحصُّنا عمّا كان فيه فالتزم بوشلاغم ترك القِتال، وأيِس من فتح المدينة فعند ذلك اتّسع الاصبانيول بها، ومكَث ما يزيد على الستِّين سنة في الهناء، حتى أننا ما رأينا في التّواريخ وقْعة مهمة بتلك المدة. لكنْ يُحتَمل أنَّ الاصابنيول كان واقفا على الرّباط خشْية الغوازي والنهب لأن العرب الذين بجواره لم يتركوه في راحة.

ولمّا حصل عقد الصلح بين باشة الجزاير وصاحب مدينة مادريد[32] التي هي قاعدة مملكة إصبانيا كان التُّرك يخفون العداوة، ومن المعلوم أنَّ مُكْث النَّصارى في وسطِ الإقليم كان معرَّة لهم، ولذلك كانوا يحْتالون على نزعه مع أنهم في قيْد من جهة الشُّروط خائفيين لحُوق المعائب بالجزائر. هذا وإنّ الباشاوات مهما تكلّموا مع الاصبانيول في شأن الصُّلح كانوا يتجنَّبون دائما من ذكْر الغرب في الشُّروط بزعْمهم أنّ باياتهم خارجون عن حُكْمهم فيما يتعلق بأمر الاصبانيول. ولذلك كان البايات يختارون لأنفسهم الوقت المناسب للقتال والباشاوات متأخِّرون عن المدد لمعونتهم، مترقبين بالصّبر حدوث ساعةٍ سعيدة يمكن لهم فيها تمزيق الشروط التي بينهم وبين صبانيا، ليجتهدوا ظاهرا في معونة باياتهم ويُلْزموا الاصبانيول بالخروج من وسط الاقليم.

وفي مدّة الستِّين سنة التي مكث فيها الاصبانيول بها في وهران، ازداد عددًا في تشييد الأبراج والحصون[33] للدَّفع عن نفسه، وكان جعلَ حفيرًا تحت الأرض، وطرقًا مسقَّفة لتبليغ المدد إلى أماكن عديدة خفية دون مخافة، وكانت /7و/ مدينة وهران في أوائل القرن الثالث عشر إحْدى المُدن العظام التي يُمكن لها مدافعة الحصار ولو كان من ...[34] ذي شدة وبأس ومعرفة ثمّ إنّ الجماني ذكر بلطافة عدد جميع حُصونها في الزّمن الذي توجّه الباي محمّد لحصرها لأنّه حاضرا معه، ولهذا يلزم أن تعتبر ما نصّه صاحب هذا التاريخ في ذلك الشان منها أنّه كتب أسماء الحصون والأبراج ونحو ذلك بالقلم العربي إلا أنها بلغة الاصبانيول، وها نحن نذكر الأسماء التي كانت تسمى بها وقتيذ في سنة خمسة عشر ومايتين وألف هجرية المطابقة لسنة 1790 مسيحية.

أبراج مدينة وهران أثناء الاحتلال الاسباني:

ردمد 2170-1636 ISSN / EISSN 2600–6324 / الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

- أولا برج مرجاجوا المسمّى بلغة الاصبانيول سانطاكروز، وهو بالكُدية المطلّة على وهران يظهر على مسافة بعيدة من جهة البحر، وقد زعم العرب أن النّصارى لمّا عزموا على بناء هذا البرج حصل لهم اهتمام بصعود الماء لتحضير العجنة، وذلك لعلوِّه مع فقد آلة الصُّعود وقتئذ؛ ثمّ إن أحد مشايخ حميان[35] أمدَّهم بجميع القِرَب التي بعَرْشِهِ لحمْل الماء، فمُلِئت وحُملَت على الكتف، وقد كان في هذا البرج ثلاثون مدفعا.

- ثانيا بُرج اليهود المسمَّى بلُغة الاصبانيول صان قري قوري[36] وهو مقابلٌ للغرب فيه ثلاثون مدفعا[37].

- ثالثا البرج المسمى لا نبوط دو لامونة[38]: لم يذكره صاحب التاريخ بالعربيَّة فهذا البرج كان أسفل برج اليهودي على ساحل البحر وفيه أربعة مدافع.

- رابعا سانجدكُ[39]الذي لم يكن فيه غير هذا الاسم.

- خامسا طبانة صغيرة فيها مدفعٌ ما كان يُسمِّيها الجُماني كاباريرة.

- سادسا لاكانباني[40]: معناها النّاقوس قُبَالة القَصَبة فيه عشْر مدافع.

- سابعا سانير[41] وهو حصن بإزاء القصبة فيه أربع مدافع.

- ثامنا سانتيزابيل المسمى بلغة الاصبانيول سانتا ايزبيلة، وهو حصن أمام القصَبة يمنع العدو من الوصول إلى المدينة، وفيه ستُّ مدافع.

- تاسعا برجٌ صغير لِرباط القصبة مثل الأربعة حصون الآخرة كتب اسمَه الجُماني هكذا لوارديا ديليونس[42] ظهر لنا معنى هذا اللّفظة أنها عسَّة الأسود وفيه ست مدافع أيضا.

- العاشر حصن كونكتد[43]يعني مجاز فيه أربعة مدافع.

- الحادي عشر حصن كلينة[44] يعني بلغة الاصبانيول حطب النار مقابلا للباب، فيه أربع مدافع.

- الثاني عشر البرج الأحمر المسمّى بلغة الاصبانيول أوجاس كاراس[45]، وهذا البُرج كان أعظم أبراج المدينة متَّصلا من بناء إلى بناء حتى يبلغ باب وهران وإنه مُقابل البحر، وقد قال الجماني الذي يحتمل المبالغة في كلامه أنّ هذا البرج فيه ثلاثمائة مدفع وأمّا بُرج اليهود المُتقدّم ذكرُه كان مُقابلا له من جهة الغرب.

ردمد ISSN 2170-1636 / EISSN 2600–6324 / الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

- الثّالث عشر برج الفرنسيس المسمّى بلغة الاصبانيول.

سان ميقيل- ق بثلاثة- وهذا البرج كان خلف البرج الأحمر فيه اثنا عشر مِدفعا.

- الرابع عشر ساتريز من جهة البحر فيها اثنا عشر مدفعا.

- الخامس عشر حصنٌ بداخل البلد يُسَمّى بالوفيارط[46]، ودليل معنى هذه اللفظة طريق السُّور وفيه عشرون مدفعا.

- السادس عشر حصن سانيكوله: فوق الباب المسمَّى بباب تلمسان فيه ستُّ مدافع.

- السّابع عشر سان جوزاف[47] فوق أرض فيه ثلاث مدافع.

- الثامن عشر سانطان[48]قُبالة سانطرين فيه تسع مدافع.

- التاسع عشر برج الجديد المسمّى بلغة الاصبانيول سانطاندري[49] مقابلا للبلد من جهة الوطا فيهماية مدفع، ويحتمل في ذلك مبالغة وله طبانة أمامه فيها ثلاث مدافع، وبين برج العيون الآتي ذكرُه طبانة فيها ستة عشر مدفعا تُسمَّى بالطبّانة الجديدة.

- العشرون برج صغير يسمى سانلمي[50] فيه ست مدافع خلف تلك الطبانة الاخرى.

- الإحدى والعشرون برج العيون المسمَّى بلغة الاصبانيول سان فيليب قبلة البلد فيه ثمانون مدفعا هكذا زعم مؤلفّ[51].

- الثّاني والعشرون سان شارل[52] خلفه فيه سبع مدافع.

- الثالث والعشرين برج بونبيقة[53]، المسمى بلغة الاصبانيول سانفيي دينا، قِبلة وهران مُقابلا لبرُج العيون فيه مدافع، وتحته حِصْن كالصَّومعة فيه ثلاث مدافع.

- الرابع والعشرون برج العين، وهو برج صغير تحت بونيقة، أبدل العرب اسمه ببرج بني زروال، وذلك بعد الوقعة التي سنذكرها/ 7ش/ فيما بعد.

- الخامس والعشرون برج علي هيئة الصومعة، يسمى طوذاكورد[54]، فيه خمسة عشر مدفعا.

- السّادس والعشرون برج المرْسى، وهو مرسى الكبير الذي شيّدوه لحفظ المرْسى للدفع عن البلد لأنَّه بعيدٌ عنها نحو الثّلاثة أَميال في الجهة الغربية خلف جبل مرجاجو، فيه ثلاثمائة مدفع.

ردمد Depot Légal 1156 -2014 :الإيداع القانوني / EISSN 2600–6324 / ISSN 2170-1636

هكذا ذكره الجُماني، وقد يوجد في شرح الحلفاوي كلامٌ على أبراج وهران ما نصُّه أنَّ برج المرسى هو أعظم أبراج وهران، وكان غاية عرض الطَّريق المبْلغة إليه نحو الثلاثة أذرع بالأكثر، وأمامه طبانة لمنع العدو عن الوصول إلى بابه، الله وفّقَ أبو الحسن المريني[55] على بنائها، كما أمر ببناء طبانة البرج الأحمر، ولمّا استولى الاصبنيول على المرسى الكبير جاءت طائفة كبيرةٌ من اليهود، وعمَّرت هناك لكن بعد خمسة وستين سنة حملَها الاصبانيول إلى القورنة[56] وهي مدينة في بر الايطالية وجعل مكانها بمرسى الكبير من وهران طايفة من جنسه، وردت من صبانية. هذا ما وجدناه في شرح الحلفاوي، ثمّ إنّ التّفصيل المتقدّم ذكره في شأن الحصون والأبراج يدلّ حقيقة على حصن تلك البلاد، ولها قُدرة على دفع امحال العرب التي ليست لها إقامة كاملة بالحروب ولا معرفة بمداخل الحصن، خصوصا إذا كان الرِّباط بجيش كافي.

هذا وإن جميع الأبراج العظام كان محيطا بها الحُفَر الغامقة وعلى حافتيه زرب متين بربط الحديد، ويُحْتمل أن الاصبانيول ما ترك هؤلاء الحُصون إلا بسبب الوقعة العظيمة التي أصابَت دُوريا حين توجّه الباي نحو المدينة، فهذا الذي ألزم الاصبانيول بانضمام جيوشه إلى بلاده وتضييع جميع ما كان استولى عليه في برِّ افريقية ليَحْفظ ما سواهم من ذلك. ولمّا شاعت هذه الوقعة حينا في إقليم الجزائر وجد الباي محمّد فرصةً في عمله وبمجرَّد افتتاح سنة خمسة ومائتين وألف هجريّة المطابقة لسنة 1790 وسنة 1791 مسيحية كَتَب للباشا يطلب منه الاذن بالحَركة إلى قتال الاصبانيول بوهران.

الزّلزال الذي أصاب مدينة وهران سنة 1790م: وكان السّبب في شروع هذا القتال بسُرعة هي المصيبة العُظْمى التي أصابت وهران وقتئذ بالزلزلة التي خربت جُلَّ البلاد، ومات بها خلقٌ كثيرٌ، وسنذْكر ما نصَّه الجُماني في ذلك، وهو أنه في ليلة الجمعة التي هي صبيحة اليوم الأوّل من صفر في السّاعة الواحدة بعد نصف الليل خَرّبت زلزلت شديدةٌ مُفْزعة على حين غفلة، ودامت دقائق ثم سكنت نحو السَّاعة، وجاءت مرَّات مُترادفة قريبة من بعضها فاستيقظ أهل المدينة من نومهم فازعين وهم يموجون في التردد من مكان إلى مكان لتخليص أنفسهم من رجفها المحيط بهم، ولمّا تزعزعت الديّار من أساسها، وصارت يَميل بعضها وتسقط على رؤوسهم بضعضعة عظيمة

ردمد 2170-1636 ISSN / EISSN 2600–6324 / الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

مات بها ما ينيف على ثلاثة آلاف نفس تحت الرّدم، ومات حاكم وهران قيفيرنور إصبانية بها مع كافّة عياله بتلك الوقعة الربّانية، وأما المتخلِّصون من الهلاك التجئوا إلى فُسْحة كانت هناك بوسط البلد عُراةً حفاةً أكثرهم مصابًا بالجراحات؛ فمنهم من تكسّر ومنهم من تشدّخ ومنهم من أدمى. ولمّا لاح الفَجْر وتركوا تلك المواطن المحْزنة والتجئوا للأماكن الخالية من البناء بين الأبراج، وكانت الزلازل تترادف سوايع[57] وتُحرك فَزَعهم فتسمعُ لأصواتِ النّاس نداءً، ولسُقوط الديَّار دويٌّ عظيم.

وإنَّ هذه الزلزلة أصابت جميع العمالة . لكن شدّة قوّتها في مدينة وهران، وقد شاهد النّاس وقتئذ عيونا غارت في الأرض بعد أن كانت سائلة، ولمّا نبعت بعد أيّام خرج منها ماء معَكَّر كلون الدم غير أنّ الأسوار والأبراج ثبتت مكانها، وما أصابها غير قليل الفساد[57].

ولمّا خرَّبت الزلازل المتقدِّم ذكرُها، كان الباي محمّد وقتئذ بأمِّ العساكر، وقد كانت مُصيبتها في تلك المدينة أعظم من غيرها، وفي صبيحة الغد من وقوعها شاع خبر مهمّات الوقائع العظام، واشتغل بالُ الناس بذلك حتى صاروا يقولون لبعضهم هل ترى أي مصيبة حلت /8و/ بمدينة وهران، وممّا ذكره المؤلف أنه قال: "بينما كنّا جالسين نتحدّث في هذا الشأن، إذ نطق محمّد ابن ابراهيم صهر الباي محمّد وقال عسى أن تكون وهران خسفت بأهلها إن شاء الله، فأجبْته قائلا يُمكن غدا إنْ شاء الله يبلغنا الخبر السّعيد، وكان الأمر كذلك فحقق الله أمله، ولم يخيِّب ظنَّه إذْ أتاه في الغد خبرُ سقوط مدينة وهران من أعْلاها إلى أسفلها".

حركة الباي محمّد الكبير نحو وهران بقصد تحريرها: ثمّ إنّ البَاي محمّد أرْسل في الحين أحد شواشهُ[58] ليقفَ على صِحَّة الخبر، ولمّا عاد بتحققه خرج الباي محمّد من أم العساكر حالا بأربعة أيام بعد وقوع الزلزلة فبلغ وهران في مدّة يومين بعد أن حرَّض جميع رعيته على الاجتماع للقتال، وكان المرابطون أطلقوا ألسنتهم بالأقوال القويمة، واشتغلوا بتشييع كلام التواريخ، وتفْسير المُراد في الأحلامية التي يرونها الناس في منامهم، في النَّصر على العدوِّ، والظفر به كما اشتغل أصحاب التّواريخ باستنباط كلام مُركَّب على حروف أ ب ج د ا ذ[59] استنجر الانسان استخرج منه تاريخ سنة 1205هـ، لكنَّ معناه بالظّاهر يدل على هزيمة الاصبانيول ونُصْرة الباي محمّد بن

ردمد 1636-2170 ISSN / EISSN 2600–6324 / الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

عصمان، ولذلك زعم أصْحاب التَّاريخ أنَّ هذه السّنة المذكورة جعلها الله وقتا معلوما لهلاك الاصبانيول، وخروجه من مدينة وهران، وكان يظهر للنَّاس أنّ ما أصاب الاصبانيول هو من غضب الله عليهم حقيقة؛ فبهذا السبب ثبتوا أعني العرَب في القتال، وكانوا يوقدوا النّار برؤوس الجبال مدة أيام فرحا منهم وسرورا.

هذا وقد اختلط العرب بالعسكر الذي كان أرْسله الباي محمّد من أم العساكر حتى قيل أنّه كان عدد ما اجتمع في مدّة سبعة أيّام خمسون ألف مقاتل، ثمّ قسم هذا الجيش على ثلاثة أقسام، فجعل القسم الوافي على يده وجعل جيش تلمسان وفليتة وجيش الأعراش المجاورة لهما على يد ولده عثمان. وكما جعل جيش مازونة ومستغانم والقلعة وكافّة الأعراش الشرقيَّة على يد محمّد بن إبراهيم[60].

وفي أوائل صفر بدأ الهجوم والنّهب في ساحة المدينة، ثمّ في اليوم الثَّالث منه وقعت الصَّدمة على يد أسوارها دفعة واحدة بجميع الجيش، وصار قتالٌ شديدٌ في برج العين، حصلت فيه النُّصرة للعرب بأخذه لكن نزعه الاصبانيول من يدهم بسبب تفريطهم، وذلك أنَّ الباي كان أَمرهم بالخروج من البرج لقطع خشب آلةِ المِدفع حسبما هو مذكور في هذا التاريخ، ولذلك وجد الاصبانيول فرصةً في الهجوم على البرج لقليل بقية الجيش فيه فأخذه.

هذا وإن بني زروال من الظهرة[61] أصابتهم مضرَّة شديدة في هذا القتال بجراحة ما يزيد على المائة شخصٍ، وعددٍ بليغ من القتلى، ولذلك سمَّى هذا البرج بُرج بني زروال، وكانت هذه الوقعة في يوم الخميس، ويُحتمل أنها غير مفيدة للمُحاصَرين لأن الدائرَة كانت عليهم.

وفي اليوم الثاني الذي هو يوم الجمعة، وقعت معركة أخرى تماثل الوقعة الأولى إلا أنّهم مسكوا فيها أسيرين من العدوّ، وفي يوم السّبت نصب الباي مدافعه على الجبل المسمى عند العرب مايدة، وأرسل على المدينة الكُوَر والبومبة[62]، لكنَّ ذلك غير مفيد وقد فعل يومئذ لغما تحت برج مرجاجو ولمّا أكملوا عمله عجزوا عن إبراز منفعته، وتحيَّر في إيقاده، ولمّا تنبّه الاصبانيول في الغد واستيقظ من غفلته، خرج غفلةً وهدَم اللُّغْم ثمّ أخذ جميع البارود الذي كان بداخله، فهذا الثَّبات الظَّاهر من الاصبانيول الذي لم يخطر ببال أحد أفزع قلوب النّاس، وأرعب جميع الجيوش الذين

كانوا في حزب الباي محمّد، حتى الباي بنفسه فهِم وأنّ مثل ذلك الحصن المنيع لا يُمْلك بكثرة الجيوش الصَّارخة دون فائدة مع عدم المعرفة بشؤون القتال[63] وإنما يستحق له مدافع كبيرة ومهازر عظيمة وطبجية ماهرون كما ينبغي له رجال عارفون، بحفير اللُّغم وعساكر منظّمة.

هذا وإنّ خزنة البارود كانت مخصوصة[64] ومع ذلك إنَّ عسَّة المدينة التي كانوا يظنون بها أنّها هلكت بالزلازل فقد كانت التجأت إلى الحصون وعمّرتها /8ظ/ وكان المدد يبلغها من صبانيا فلما عاين الباي تلك الموانع ظهر له أنّ الصواب في الاشتغال والتأخّر عن المدينة ليتأهب تأهبا أعظم مما كان عليه سابقا ولذا انتقل إلى أمّ العساكر، واشتغل حينا بإقامة أمره، وكان يستحقّ له الزّمن الطّويل للاستعداد. وكذلك الاصبانيول فإنّه يجد اتّساعا في مدّة ذلك الوقت ليُنشئ حصونا محيطة بالبلد.

إعتماد الباي على الطّلبة: ثمّ ظهر للباي الاستيلاء على جبل المايدة المذكور المشْرف على وهران شرقا ومرسى الكبير غربا، ويجعل فيه عسّة ليمنع الاصبانيول من الوُصول إليه فظهر له أن يجْعل هناك طائفة مسبَّلين[65] لانتظار أحوال وهران من أعلى الجبل، والهُجوم على أحوازها بالنّهب والفساد لتشويش الاصبانيول حتى لم يتركوا له راحةً، وممّا استنبطه الباي محمّد أنّه أرسل إلى جميع طلبة العمالة وأمَرهم بالاجتماع في جبل المايدة فوقع من ذلك هرج بين الطّلبة، ولمّا عاين الباي منهم ذلك اختار ستّة من الطّلبة الذين كانوا يميلون إليه، ويقربون منه فألبَسهم أفْخر الملابس، وأرْسلهم واسطةً لخمد نار الفتنة راكبين في زيٍّ عظيم، وقد ملأً جيوبَهم بالدَّنانير ليجولون في الدّشور والقرى، ويجلبوا الطُّلبا إليهم من أقرانهم، فثبَّت هذا الاستنباط وما كان إلا قليلا وإذا بهؤلاء السّتّة قدموا بأربعمائة طالبٍ فعمِر بهم السَّهل المُسمّى إيفري، وهو المكان الذي عيَّنه لنُزول هذه الطائفة التي رتّب منها محلّة باختراع جديد.

وكان وقتئذ في مازونة أحد الطّلبة المحترمين بين أقرانه غاية، وهو الشّيخ محمّد بن علي الشّريف[66] فكتب له الباي طالبا منه الاجتهاد في جلب النّاس لهذا المُراد، وتحريضهم إليه فرضيَ الشّيخ بذلك، وتوجّه إلى أمّ العساكر بمائتين من الطّلبة غير الأوّلين مع أولاده الاثنين، وهما الشيخ سيدي المهاني والسيد محمّد، ولمّا وصلوا إلى

ردمد 1636-2170 ISSN / EISSN 2600–6324 / الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

الباي قابلهم أحسن قبول وأمرهم بالذّهاب إلى إيفري المتقدّم، لكن ما بلغوا هذا المحل إلا بكلفة لوقوع القتال بينهم وبين شرذمة من الاصابنيول والعرب الذين في حزبه.

هذا وقد صار يتزايد عدد الطّلبة يوما بعد يوم وتلاحقت عيالاتٌ(67) خيّمت بإيفري لأنّ الباي قال من خيّم بعياله في جبل المايدة فهو محررٌ من الغرامة(68)، وقد أمرَ بفتْح دُروس العلم في ذلك الجبل بحيث لا تكون في مكان غيره، ثمّ شرع في تقْسيم الطّلبة على طوائف، ورتّبهم وُجاقات يعني في كلّ وجاق خمسة وعشرين شخص، فكان نهاية ذلك في شهر رجب بلغ ستون وجاق، وفي آخر شعبان بلغ المائة.

هذا وقد كان الباي انتخب رجلين من الأعيان في ابتداء الأمر ليتصرف في محلة الطّلبة؛ وهما الشيخ محمّد بن عبد الله الجلالي، والسيّد الطاهر بن حوة(69) قاضي أمّ العساكر وهذا العالم كان مشهورا بالعلم عارفا بالنّظم والنّثر، وقد وُجد من بعض نظمه في تاريخ الجماني الذي كان تلقاه منه الشيخ أحمد بن سحنون حين تفضّل عليه بهديَّة أحد تأليفه المعروف بعقود المخازن. وأمّا الأول الشيخ محمّد بن عبد الله فأصله من ذريّة بوجليل من الطبقة الخامسة، ولذلك كان يُسمَّى الجلاني وكان اكتسب في أم العساكر قدرا وجاها لتدريسه، وفاز بعدد علومه وحُسْن تربيته. ثمّ إنّ هذا الفقيه الشيخ محمّد بن عبد الله بدأ قراءة العلم في مدينة فاس على مشايخ عديدة جليلة جلّة مشهورين ثمّ رجع إلى أم العساكر وشرع في تدريس العلم، وبعد سنين قدم إلى الحجاز، وزار بيت الله الحرام وفي مدّة سفره كان يحضر مجالس العلوم بكلّ مدينة دخلها في بر المشرق، وقد تمهّر في بعض العلوم التي كانت مشكلة عليه حتّى استنار عقله، وكان مجتهدا في البحث والمناظرة مع المشايخ في المسائل الدّقيقة/9و/ ولمّا رجع من الحجّ إلى أم العساكر اشتغل بالتدريس ثانيا، واجتمع عليه خلق كثير منهم الشيخ سيدي أحمد بن سحنون صاحب الجماني.

ثمّ إنّ الباي محمّد هو الذي قدم أيضا هذين الفقيهين يعني الفقيه السيد المهاني المتقدم ذكره في الورقة الماضية، والفقيه السيّد محمّد بن عبد الله على كافّة طلبة إيفري وقبل وقوفه على تقديمهما كان لم يُفرِّط في شأن الطّلبة، ولم يهمل ما كان يسرُّهم ويزيد في قريحتهم للتعلُّم، وكان ينفق على طوائف الطَّلبة من خاصَّة ماله

ويُمدُّهم بالكِسْوة وما يحتاجون إليه من آلة الحرب وقد كان واقفا على بناء ثلاثة مطاحن في مسرقين(70) على مسافة ثلاثة أميال من محل منزلهم، مختصة لهم. وكل طائفة كان يمدّها بخمسة وستين صاعا من القمح في الشهر لمعاشهم، وكما كان يُمدهم في غالب الأوقات بالمعونة والهدايا، فبذلك طابت معيشَتُهم، ولولا مصائب الأخطار التي كانوا يتلقونها من شدائد القتال لكانت أحوالهم مرضيّة على أحسن حال.

هذا وإن سبب القتال الأول الذي وقع بينهم وبين الاصبانيول هو فرار الثَّلاثة الأشخاص من وهران الذين قدم أحدهم إلى الطلبة في إيفري وأخبرهم بفرار رفقائه الاثنين فاجتهد إذ ذاك الطلبة في البحث على الاثنين، ومن الاتفاق أن الاصبانيول كان وقتئذ بعث أناسًا في أثر الهاربين فالتقى الجمعان ووقع القتال الشّديد بين الفريقين، فما كان إلا قليلا إذا بالرَّصاص والبارود انقضى من يد الطّلبة حتى آل أمرهم إلى أسوأ حال، وصاروا في ضيق شديد، وكان العدوّ يترامى عليهم بشدّة ويهجُم عليهم بالغضب فالتزم الطّلبة الدفع بالحجر، ولمّا بلغ هذا الخبر المشوم الذي حلّ بالطّلبة إلى القاضي السيّد الطّاهر عزم على نُصْرتهم، وبمجرد وصوله إليهم اختلطوا مع العدوّ واشتدّ القتال فأُصيبَ القاضي السيد الطّاهر ساعة ...(71) بندقته على العدو برصاصة كسَرت ذراعه، ودخلت في بطنه. وقد كانت جراحته مهلكة فحمل من ميدان المعركة، وتوفيَّ بعد يومين ليلة جمادى الأولى.

هذا وإنّ نار الفتنة لم تطف بهذه المصيبة التي حلّت بالقاضي بل إنّها لم تزل موقدة الليل كلّه مع نزول المطر الغزير وموت الكثير منهم، وهمْ في غاية الثَّبات وقد كان القتال يترادف من يوم هذه الوقعة حتى أشرف الاصبانيول على العجز والفشل، لأنه كان ملتزمَ الخروج من حصونه لرَعْي مواشيه، فتضايق حاله ولم يبق له من الأرض غيرَ الفُسْحة التي بين حصونه والبحْر وما بقي كله تمكّن منه الطّلبة وعددٌ بليغ من النّاس الواقفين على النّهب، الذين قدموا معهم وما كان يرى الاصبانيول غير الكمائن والمكائد، وكلَّما حرس نفسه وتأخر إلى البلد ازداد هجومُ المقاتلين عليه.

ولنترك الآن ما كان وقع بين الطّلبة واصبنيول بوهران من القتال، ونذكر تأهب الباي محمّد للحرب فأوّل ما سعى به في عمله أنه اشترى مدافع ومهارز من جنس الانقليز مع عدّة من الكور والبومبة ونحو ذلك، وقد اكترى مراكب من النّصارى، ولزّم

نفسه بضمانتها من أخطار البحْر لأنّ أجناس النّصارى الذين بساحل البحْر الأوسط كانوا وقتئذ يتعرّضون لجميع المراكب التي يجدونها مرسوقة لإقامة الحرب وذاهبة إلى الشّطوط البربريّة فيأخذونها غنيمة ثمّ أرسل قاضي المحلّة وكاتبه أحمد بن هطّال إلى إيالة المغرب وبأيديهما هدايا للسّلطان طالبا منه الأذن في شراء جميع ما يتعلق بشؤون الحرب من بلاده، ثمّ إنّ الكاتب بن هطّال المذكور توجّه إلى جبل طارق لشراء البارود فاشترى نحو المائتين وخمسين قنطارا، وبينما كان يسعى في حمله إذ بالمراكب المتقدّم ذكرها بلغت بوسق عظيم من آلة الحرب/9ظ/.

كما أنّ زواوة بعثوا البارود الكثير من عملهم فعند ذلك اشتغل بخدمة القراريط لحمل المدفع وجر أثقاله، وقد وقف على جلب الخشب واللوح من جميع غِيَب[72]العمالة وأحضر مِن مستغانم والجزائر وغيرهما مئات من الخدّامين منهم الحدادون والنجّارون والبارودجية[73] قدم كُلُّهم إلى أمّ العساكر بطمع في الأجرة البالغة كما أنّ أهل فيقيق[74] الذين زعم النّاس وأنّهم ماهرون بمعرفة حفير اللّغم أرسلوا إليه مائة رجل من أبناء وطنهم ففرح الباي محمّد بهم غاية الفرح ظنّا منه أنّه يُستفاد بعملهم فقسم على جميعهم حينا الكِسْوة الكاملة، وأنْعم عليهم بألف ومائتين ريالا ثمّ أرسلهم إلى إيفري وسعى في جلب طايفة طبجية[75] من أم العساكر، فكان هؤلاء الطبجيُّة يَخْرجون كلّ يوم لتعلُّم حرب المدفع حتّى تمهّروا في ذلك.

وقد كانت الطّرقُ وقتئذ من أم العساكر إلى وهران ضيقة مُحْدَوْدَبةٌ لا تحمل مجاز المدافع الكبيرة، فوقف على توْسيعها وإصلاحها إلى أن صارت مبلغةَ إلى نِصف حدُورة الجبل الملاصق لجبل المائدة بسهولةٍ، وهنالك تفرَّقت على جهتين أحدهُما تمرُّ إلى نواحي مرسى الكبير والثانية إلى جبل المائدة، فمكثت هذه الخدمات مدّة خمسةَ أشْهُر وما أمْكن للباي الخروج من أم العساكر لقتال الاصبانيول إلا في اليوم الثّامن من رجب فعند ذلك أراد الاشتهار في خروجه، ولهذا كانت سكان البلد كلها واقفة على ساق واحد في صبيحة يوم خروجه، ولمّا شرعت النّقلة في الحركة للمسير تكلّم الطَّبْل والنَّقير دفعةً واحدةً، واجتهد النَّاس في جرّ أثْقال المدَافع من أم العساكر إلى عقبة خدّة[76] التي هي على مسافة ثلاثة أميال من البَلد، وقد كان الباي أعتق ففي ذلك اليوم جميع المساجين، ووقع النّداء العظيم بارتفاع أصْوات العباد فرحا واستبشارا،

ردمد 2170-1636 ISSN / EISSN 2600–6324 / الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

ثمّ وقفوا في عقبة خدّة المذكورة وهناك أمر الباي بضيافة تلك الجيوش العديدة، فعند ذلك شرعوا في السّير.

وكان تَزَعْزُع قراريط المدافع وميلها ميمنة وميسرة أفسد بعضها، فتعطّلوا في إصلاحها يومين، ثمّ لمّا فرغوا من العمل جدّوا في السير إلى هبرة ووصلوا في ...[77] إلى سيق فوضعوا النّقلة بالبرج هناك وضعا وقتيا.

شكاية الإسبانيّين الباي محمّد الكبير لدى باشا الجزائر: ولمّا سمع الاصبانيول بحركة الباي محمّد إليه بعث جماعة للجزائر بقصد الملامة، فحينئذ أخبر باشا الجزائر محمّد بن عصمان خليفة الباي محمّد بمراد الاصبانيول في ترك وهران وتسْليمها وما يُبْقون تحت أيديهم على شاطئ البحر غير مرسى الكبير مثل محلّة ترسيةٍ المراكب بقصد العمارة التجارية، فأجاب الباي محمّد باشة الجزائر مشيرا عليه بأنّ الأصلح عدم قبول هذا الشّرط، وأكّد عليه أن يُلْزم الاصبانيول بترك البلاد وشطوطها تركا كليّا، ولمّا علم الاصبانيول بهذا الخبر طَلب المُهادنة لوقت بينما يُخبر سُلطان صْبانية بمراد الباشا ويرد عليه جوابَه، فرضي بذلك باشة الجزائر وبعث سيارا إلى سيق ليأمر الباي بالكفِّ عن الحركة، كما بعث مكْتوبا إلى الطّلبة المقيمين بإيفري يأمرهم فيه بالكفّ عن القتال إلى اليوم الثاني والعشرين من شعبان، وهو الأمد االمعلوم للمهادنة بينهم.

لكنَّ الباي لمّا خشي حلُول الوِفاق قبْل تأهُّبه الكامل قدم إلى مستغانم لأخذ المدافع الكِبار المنْصُوبة بتلك المدينة وحملها إلى سيق وأمّا رُسلاء الاصبانيول فإنهم ذهبوا إلى مدينة مادريد التي قاعدة مملكة صبانيا ورجعوا للجزائر حينا بجواب يتضمن عدم قَبول الشُّروط المتقدم ذكرها فعند ذلك بدأ القتال، وأوّل من شرع فيه طائفة من الطّلبة /10و/ساعة انقضاء الأمد المعيّن للمهادنة، خلاف كلام الاصبانيول فإنّه زعم وقوع القتال بيوم قبل حلول الأجل المعهود، وكان أوّل هجوم الطّلبة على برج الولد الصّغير ثمّ بعد أيّام في افتتاح شهر رمضان تكرر هجومتهم على هذا البرج المذكور فخرج الاصبانيول منه إلى لقائهم، وبعد القتال الشَّديد الذي مات فيه كبير النّاس التزم الاصبانيول الفرار إلى البرج بسُرعة، واجتهد الطّلبة في أثرهم إلى أن تكلّم البارود بداخل البُرج من الشبارات.

ردمد 2170-1636 EISSN 2600–6324 / ISSN / الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

دخول الباي محمّد بن عثمان مدينة وهران: وبتاريخ اليوم الثالث من رمضان رحل الباي محمّد من واد سيق ونزل في تليلات التي هي على مسافة صَبيحةٍ من وهران، ومن تليلات نزَل في مَسولان[78] فمكث هناك ليرتب جيوشه ويعلم مضاربه وفي اليوم الثاني عشر من رمضان توجّهت المحلّة أمام القبَّة الصّاعدة إلى إيفري ومعها جيش غزير من ساير الأعراش الذين لهم رغبة في القتال، وطَمِع في النَّهب، فحلّ الجميع على مسافة تزيد عن رمي المدفع من برج العُيون، ولكثْرة الجُنود كانت تلك البقاع والمهام مغطَّاة بالخلق على رؤية العين وبمجرَّد وصول المدافع إلى ضاية مولاي اسماعيل.

شرع الباي في بناء عدّة متارس وقاية عن رمي الاصبانيول، وأكبرهم المترس الذي كان مقابلا لبرج العيون، وفي اليوم الثاني من شهر شوّال تكلّم البارود من كل متر دفعة واحدة ثمّ أجابتهم المدينة وأبراجها بضرب شديد خصوصا برج مرجاجو فإنه رمى مائة وستين كورة بومبة وبومبة واحدة وثلاثين كومبرة[79].

هذا وأما من جهة متارس الباي محمّد فإنّه رمى ثلاثمائة كورة وأربع كورات ولمّا شقّ عليه الأمر، ولم يحصل على طائل من مراده شرع في بناء عدّة متارس أُخرٍ غير الأولى ليرمي على برج العيون والبرج الجديد المسمّى عند الاصبانيول بسانطاندري، وفي اليوم السّادس والعشرين من شوال تجدّد القتال مدّة أيّام من غير انفصال إلى اليوم التاسع والعشرين منه، وكان يوما شديدا على الصابنيول لسقوط بومبة واحدة في وهران على بيت من البُيوت العديدة المُدَاسة التي كان جعلها الاصبانيول للوقاية بعد خراب المدينة بالزّلازل، فوقدت بها النار وامتدّت للديار المجاورة لها، وفي ذلك الوقت بنفسه سقطت بومبة ثانية على خزنة البارود المقابلة لبرج العيون، وتفرقت بقوة شديدة مات بها خلق كثيرٌ، فلمّا رأى الباي محمّد النَّار تلْهب في أطراف المدينة وغمَّمت بالدخان المُنتشر على خزنة البارود ركب جوادَه، وأمر بالصَّدمة دُفعةً واحدة ظنّا منه افتتاح المدينة من هول تلك اللحظة، وكان المدفع وقتئذ يَصُبُّ بالردّوبلى كالمطر الغزير، فما كان إلا قليلا وإذا بالحدورات المبلغة إلى المدينة امتلأت بسرعة جيش المسلمين القاصدين الصّعود على الأسوار عندما يرون افتتاح ثغر للنفوذ منه.

هذا وإن جميع الرّبوات العالية كانت مموَّلة ببعض الرُّماة متفرقين يرون الرصاص بالرمي على كل من عاينوه أعلى الأسوار، ومع هذه الصَّدمات الشَّديدة كانت

ردمد 2170-1636 ISSN / EISSN 2600-6324 / الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

وهران ثابتة من كل جهة حتى التزم الباي أن يأمر جَيْشه بالرُّجوع. وبينما وقوع ما ذكر مات محمّد بن عصمان باشة الجزاير في اليوم التّاسع من ذي القعدة، وفي اليوم الثاني عَشر منه قدم رسولٌ إلى الباي محمّد مُخبرا بموت الباشا الأول وولاية أبي علي حسن باشة، ووقوع المكالمة بينه وبين المكلَّف بأوامر اصبانية لديه بالجزائر، فقبل الباشا كلامه وفي شهر المحرم الذي هو افتتاح سنة ست مايتين وألف الهجرية المطابقة لسنة 1791 مسيحية وقع الاتفاق على المهادنة وعقد الصّلح وها نحن نذكر الشروط المهمّة التي وقعت في ذلك حسبما نصّ الجماني.

شروط تسليم وهران[80]: الشرط الأول: أن الاصبانيول التزم رد مدينة وهران كما كانت في زمن بوشلاغم فأبراجها المشيدة وقتيذ مع المدافع التي كانت بها وإنها تزيد على المائة/10ظ/.

الشرط الثاني: أن الاصبانيول له أن يهدم كل البناء الذي عمله في وهران بعد أخذها من يد بوشلاغم إن شاء ذلك.

الشرط الثالث: أن الاصبانيول يلتزم بدفع اثني عشر ألف دينار ذهب في كلّ سنة لخزنة الجزائر، مجزّأة في الدّفع بالشّهرين قدرا متساويا.

الشرط الرابع: أنّ كل مركب للاصبنيول حلّ بمرْسى الكبير يدفع خمسة وخمسين ريالا منها أربعون لبيت المال، والخمسة عشر الباقية تُدفع لقائد المرسى.

الشرط الخامس: لا يقبل من مرسى الكبير إلا المراكب الاصبانيول التجارية خلاف مراكب غيره من الأجناس فإنها محرمة الدخول.

الشرط السّادس: أن الاصبانيول له أن يشتري في كلّ سنة ألف حمل من القمح بالسِّعر المعلوم في السّوق، وأن باي العمالة لم يطلب منه شيئا في ذلك، ولا يريد ما هو معين.

هذا وإن خبر الصّلح بلغ إلى الباي في اليوم التاسع عشر من محرم، وبينما كان يترجى انتقال الاصبانيول من المدينة ورد عليه أمر من الجزائر منعه من ترجيه، وصار له سببا في اشتهار صولته بالحروب، وذلك أنه أَمر بالحركة إلى سوماته[81]، وهو عرش كبير بين الجزائر والمديّة. فتوجه إليه، ولمّا علم بقدومه دخل الرعب الشديد في قلوب أهله، وأسْرعوا بالفرار. منهم من التزم الدّخول في الشِّعب الخالية، ومنهم من صعِد

ردمد 2170-1636 EISSN 2600–6324 / ISSN / الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

أعلى رؤوس الجبال الشامخة، وأكْثرهم التجأ إلى أعراش القبائل الذين بجوارهم، فنزل الباي محمّد في وسط العرش دون معارض لهم حتى قيل أنه لم يلاقه عدوٌ، وبالجملة فإنه ظفر بفرقة من العرش، وألزمها ما كان يلزم العرش من العقوبة فقتل شطْر الفرقة وأَسر الباقي.

وكان من جملة الأَسارى ما يزيد على التّسعين امرأة، فنهب نحو الألف شاة وعددا من أفراس الخيل والبقر وقطع الشَّجر وحرق الديار حتّى أنّ أهل الجزائر لمّا عاينوا التهاب النّار التي أضاءت بها الجبال علموا ما حلّ بأهل سوماته من العقوبة الشديدة، وخلاف ما نهب من المواشي أنه أخذ حبوبا كثيرة ،كما أنّ العسكر غنم أثاثا كثيرا من كلّ نوع فعند ذلك نزلت محلة الباي (ف)[82] سوماته مدة أيام، ثمّ بعث إلى الأعراش الذين كان[83] التجأ إليهم المنافقون، وأمرهم بالوقوف على طردهم من بلادهم وإلَّا ستحل بهم العقوبة الشديدة كما حلّت بغيرهم، ولمّا سمعوا بذلك قدموا إلى الباي بسُرعة طالبين منه العفو والأمان فحصلت حنانة بقلبه عليهم، وسامحهم غير أنّه وبّخهم جميعا لسعيهم في نُصْرة المفْسدين، وقد جعل عليهم خطيّة قدرها خمسون جوادا قادة وألف بندقة، ومَسك منهم رجالا مَراهين ثمّ رجع إلى معسكر، وقبْل دخوله وهران بمدّة أيام قدم للجزاير فتلقَّاه حسن باشا[84] وقابله أحْسن قبول وتفضّل عليه بدخوله مدينة وهران في حزب ولايته، وأن تكون على اسمه وفي اليوم السّابع عشر من جمادى الثّاني دخل هذا الباي مدينة وهران لصولة في هيئة النّصر.

وهران بعد تحريرها: وقد صارت كرسي عمالته فنزل في البرج الأحمر، وأمر كاتبه حينا أن يخبر الباشا بانتشار حكمه على المدينة، وقد وجّه مع ذلك الكتاب مفاتح ذهب صاغها على قدر مفاتح مدينة وهران انتهى.

هذا وإن أغلب ما ذكرنا منقول من كتاب الجماني، وقد انتهى كلامه عند فتح مدينة وهران ولم نجد في كتب غيرها تفصيل يُفيد بسيرة هذا الباي، ومدّة حكمه. وفي كلام بعضهم أنّ هذا الباي مات في...[85] عند توجهه للجزائر بقصد التّدنيش بعد فتحه المدينة المذكورة بسبع سنين وكان أصلح فيها عدّة أماكن في حياته، وبنى الجامع الأعظم المسمى بجامع الباشا[86] كما شرع في بناء جامع الفسحة[87] انتهى وكفى والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد نا محمّد خاتم النبيين/10ظ/.

الهوامش

1- هنا يوجد خلط كبير في كلام المؤلف حول احتلال مدينة وهران، فالبرتغال احتلّوا مدينة وهران من يوم 14 أوت 1415 إلى عام 1437م في عهد الملك جان الأوّل، ثمّ خضعت وهران لسلطان تونس وتحوّلت إلى ملجأ وملاذٍ للأندلسّيين الذين تمركزوا بها وسيُطروا على إيراداتها، ثمّ استعاد الزيانيّون نفوذهم بها . ثم احتلّها البرتغاليّون من 1471 إلى 1477م في عهد الملك ألفونسو الخامس، Alphonso5، وتمكّن السّكان من طرده البرتغاليّين. وبعد عشرين سنة هاجمها الإسبانيون سنة 1497م بقيادة الدّوق دومدينا سيدونا Sidona، وفشلوا في احتلالها. يحي بوعزيز، ميدنة وهران عبر التاريخ، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع: الجزائر، 2009م، صص38-40.

2 -يقصد دييغو دي كوردوبا ، وهو أوّل حاكم إسباني بمدينة وهران، فأمّا عن احتلال المرسى الكبير فكان على يد الكاردينال خيمينيس الذي جهّزَ حملةً من ماله الخاص، في عهد الملك الإسباني فرديناند، وأعدّ أُسْطُولا مكوّنا من مائة وأربعة وثلاثين سفينة، على متنها خمسة آلاف مُحارب، تحت إمرة الدون رامون دي كاردونا وتعزّزت القوّة العسكريّة بحاميّة أرغونيّة، وتولّى قيادة المدفعيّة ديغودي فيرا بينما تولّى مذكل من بيدرو لوبيز والدّون غونزالو أبورا قيادة الحرس، وقد غادرت الحملة الإسبانية مدينة مالقة يوم 3سبتمبر 1505، ووصل الأسطول يوم 11سبتمبر 1505، وكانت حامية المرسى ضعيفة فلم تتمكّن من ردّ هجومه، وفي 23أكتوبر 1505م سيطر الإسبان على المرسى.

بينما تمّ احتلال مدينة وهران سنة 1509م، ففي ماي من هذه السّنة قاد الجنرال بيدرو نافارو حملة مكوّنة من جيش قوامه15000جندي، ولمّا وصلت العمارة الإسبانية إلى المرسى الكبير، بادر السّكان إلى الاعتصام بالمرتفعات، وفي 17ماي اقتحم الاسبان أبواب مدينة وهران، بمساعدة يهودي إسمه شطورا وأصبحت بذلك كلّ من مدينتي وهران والمرسى الكبير تابعتين للامبراطوريّة الإسبانية، وأسْنَدت مهامَّها إلى الدّون دييغو فيرنانديز دي كوردوبا. ينظر: عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية(1505-1792م)، دار هومة، صص40-54؛ عبد الجليل التميمي، الدولة العثمانية وقضيّة المورسكيين الإسبان، مركز الدراسات والبحوث العثمانية المورسكية، باريس، 1989م؛ أحد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا(1492-1792م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص95-113؛ يحي بوعزيز، المرجع السّابق، صص41-.42

3- تُوُفيَّت الملكة إيزابيلا في 26 نوفمبر 1504م، وكان من ضِمْن وصاياها أن يتمّ احتلال وهران. أي أنّ احتلال المرسى الكبير كان بعد موت إيزابيلا. يُنظر: المهدي بن شهرة، تاريخ وبرهان بمن حلّ بمدينة وهران، ط1، دار الريحانة: الجزائر، 2007م، ص.121

4-أحد الأساقفة الكاتوليك المتعصّبين ضدّ المسلمين، ولد في قشتالة سنة 1436م، وترقّى في المناصب إلى أن أصبح أمينا لسرّ المملكة 1492م، ثمّ كاهنا لطُليطلة سنة 1495م، ثمّ حاكما حتى وفاة إيزابيلا 1504م، وترأّس محاكم التّفتيش(1506-1516م). وقد تمكّن من احتلال المرسى الكبير ونكّل بالمسلمين. ينظر: أسماء أبلالي، التحرشات الإسبانيّة على سواحل الجزائر خلال القرن (10هـ/16م)، مجلّة روافد للبحوث والدّراسات، جامعة غرداية، العدد 2، 2017، ص36.

5- هو قائد إسباني تمكّن من احتلال وهران سنة 1509م، وعجز عن احتلال الجزائر. أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، ص145.---6 - كان اليهودي اسمه سطورة أو أشطورة يعمل مكّاسا اصله من إشبيلية، وأمّا العربي الذي كان يعمل معه فاسمه عيسى بن العربي والقايد بن قانص، وعند الراشدي أن اليهودي إسمه الزّاوي بن كيسة والعربي اسمه عيسى بن الغريب الغري والقنّاش الكبير، وقد قَتل الإسباينون فور اقتحامهم للمدينة قرابة أربعة آلاف رجل، وبادر خيمينيس إلى تحويل مساجد المدينة إلى كنائس ومنها مسجد البيطار. الراشدي، المصدر السّابق، صص187-189؛ يحي بوعزيز، المرجع السّابق، صص41-.42

7 - انقسمت القبائل العربية في غرب المغرب الأوسط إلى قبائل متحالفة مع الاسبانيين وقبائل معاديّة لهم وقبائل رعيّة خضعت لنفوذهم بسبب ضَعفها. ----**فالقبائل الحليفة**:مثل الكثير من فُروع بني عامر الذين أصبحوا رعايا للاسبانيين فيما تحوّل بطن شافع العامري إلى جند للإسبانيّين، وكانوا قرابة عشرين دوارا وأولاد علي القبيل الذين ناهزوا سبعين، وكان أحد شيوخهم وهو رابح بن صولة يُكثر من شنّ الغارات ضدّ القبائل الخارجة عن طاعة الاسبانيين، وعلى نفس المِنْوال سار الونازرة وقيزة وأولاد عبد الله من بني عامر. وتعاونت قبائل حميان العربيّة والذين أطلق عليهم المشرفي " القبائل المتنصرة" مع الإسبانيّين، وقام شيخهم بجلب الماء إليهم بعد حصار الباشا إبراهيم لهم سنة (1050هـ/ 1641م)، وكانت هذه القبائل كما يقول المشرفي :((أهل نجدة وبأس شديد وقتال عنيد ورأي وتدبير وحيلة وتشمير فتقوّى بهم الاسبانيُّون بغاية التّمكين، واشتدّت شوكتهم على المسلمين واعتدّوا بهم وصاروا مشتدّين، وأكثروا من شنّ الغارات على الأقربين والأبعدين، فكانوا عيونهم الباصرة، وجنودَهم الهائلة

المكاثرة وإخوتهم النّصحاء وأحبّاؤهم النّجباء)) وبهذا النصّ نجدُ تصريحا من المشرفي عن إذعان هذه القبائل للإسبانيين. وتجلّى ولاءُ هؤلاء الشُّيوخ للإسبانيّين في بثّ الدّعاية لصالحهم ونقل الأخبار إليهم لذلك قال المشرفي عن هذا الصّنف من القبائل أنّهم :((صاروا شجى في حلق الدّين باحتكام، قذى في عيون الإسلام وحلاوة في قلوب الكفرة اللّئام)) . وقد صرّح الفقهاء بتكفير بطون بني عامر المتعاملة مع الإسبانيين ومن سار على دربهم كأبي العباس أحمد بن أبي محلي والحلفاوي وأيضا عند المشرفي صاحب كتاب بهجة الناظر.---وأمّا **القبائل المعاديّة:** كهبرة والبرجية ومجاهر وغيرهم من الذين لم يدخلوا تحت طاعة الاسبانيين*. وكان لهبرة حروبٌ عظيمة معهم حتّى فنيت أعداد كبيرة منهم. ---**بينما نجد القبائل الرعيّة:** وهي التي خضعت بسبب ضعفها ووقوعها ضمن مناطق نفوذ الإسبانيّين، كما هو الأمر بالنِّسبة لكثير من بطون بني عامر التي كانت فقط مقيمة في جوار الإسبانيين، وسبب عدم اتّخاذها موقفا ثوريا ضدّ الإسبانيين قد يكون راجعا إلى طبيعة المجال الجغرافي الذي كانت تقطنُه، والذي يتشكّل أغلبه من الأراضي المُنبسطة التي لم تسمح لهم بالاستفادة من الدّفاعات الجغرافيّة الحصينة. عبد القادر المشرفي ، ، بهجة النّاظر في أخبار الدّاخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق :محمّد بن عبد الكريم، بيروت: دار الحياة، 1972م، صص 26 -27 وص31 -36؛ الزياني، المصدر السّابق، ص146؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص146.

8 -الكرط : تقع في معسكر، وقد أشار الزياني إلى أنّ حاكم وهران الإسباني غزاها رفقة الصواولة وشيخهم رابح بن صولة العلياوي، فأثخن فيهم وقتل وأسر وسبى الرّجال والنّساء. الزياني، المصدر السّابق، ص189.---9 - سيرات: بلدية من بلديات مستغانم، وهي حاليا تابعة لدائرة بوقيراط وتقع غرب مستغانم، أمّا أرض ملاتة فهي المنطقة الممتدّة بين تموشنت وسيدي بلعباس. أمّا تليلة فيقصد بها تليلات وهي إحدى دوائر مدينة وهران وتقع جنوب وهران وشمال معسكر أمّا ولباطة فهو تحريف منه لكلمة البطحاء وهو ما يؤكده نص الراشدي والبطحاء حاليا هي المطمر بغليزان. يراجع: الراشدي، المصدر السّابق، ص.456

10- في سنة 926ه/1516م دخل الأخوين عروج وخير الدّين إلى مدينة الجزائر تلبية لنداء أعيانها وعلى رأسهم الشيخ سالم التومي، ليكون هذا الحدث نقطة تحوّل في تاريخ المغرب الأوسط وبداية ظهور الدّولة الجزائرية التي أذعنت لسلطة العثمانيّين.ابن رقيّة، المصدر السّابق، ص4؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، ص174.---11- المؤلّف يُظهر من خلال هذا الكلام تعصّبه ضدّ العثمانيّين، ويبدو أنّ هذا الحكم قد كان شائعا في أواخر العهد العثماني بسبب كثرة المظالم التي قام بها البايات وقبائل المخزن ضدّ القرى والمداشر والزوايا والمدن بسبب المطالب المخزنيّة ومخاوف العثمانيّين من ثورات السكّان.

12- في سنة 1517م وفد على عروج وفد من أعيان تلمسان، يطلبون منه مساعدتهم من أجل الإطاحة بأبي حمو الثالث الذي جلس على عرش تلمسان بإعانة من ملك إسبانيا، بعد أن قام بعزل وسجن أبي زيّان الوريث الشرعي. أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، ص186؛ يحيى بوعزيز، المرجع السّابق، صص41-42.---13- قال في الرِّحْلة القمريّة: ((بعث أخاه أوروج(عروج) رايس لمحروسة تلمسان فاستولى عليها بعد أن قتل سبعا من سلاطينها ونحو السّبعين من أكابر بني عبد الوادي وما ينيف عن الآلاف من كبارها واقتحم البلاد)، ابن زرفة، المصدر السّابق، ص224.---14- أسند عروج مهمّة حراسة قلعة بني راشد إلى أخيه إسحاق، فقطع إسحاق الميرة عن الإسبانيين، وهو ما جعل الأعراب وأنصار أبي حمّو والإسبانيين يتّحدون ضدّ المجاهدين الأتراك، وهو ما أسفر عن استشهاد الأخوين عروج واسحاق وعدد كبير من الجنود، لتعود تلمسان إلى التبعيّة للإسبان. ينظر: أظنّ أنّ المكان الذي التجأ إليه عرّوج هو جبل بني يزناسن وهو جبل مطلّ على مدينة وجدة المغربيّة وكانت به زاوية سيدي موسى، فلعل هذا الجبل كان يُعرف باسم زاويته أيضا فقد قال الزياني: ((وبعث عروجا لتلمسان خليفة عنه إلى أن كثُر فساده فقام عليه أهل تلمسان وفرّ إلى بني يزناسن فمات هناك)). الزياني، المصدر السّابق، ص242؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، صص191-192. ---15- ليس هو ثاني باشوات الجزائر، واسمه صالح باشا وذكر الزياني أنه تولى سنة 966ه وبقي في الملك أربع سنين، ثم ذكر تاريخا آخر عن صاحب الزهرة النائرة وابن حمادوش وهو سنة 959ه، وهو الذي قام بتحرير بجاية يوم الأربعاء سابع وعشرين شوال 968ه بعد حصار دام سبعة عشر يوما وعند ابن المفتي أنه تولى سنة 959(1551م) وفتح بجاية سنة 962ه(1554م). يُنظر: الزياني، المصدر السّابق، ص244؛ ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمع : فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة: الجزائر، 2009م، ص.40

16-يقصد مارمول كربخال، صاحب كتاب إفريقيا، وهذا أحد الأدلّة التي تؤكّد ترجمة المؤلف لنص جورجيوس، لأنّ كتابات الرّحالة الإسبانيين وتقارير السفراء والجواسيس الأوربيين حول المدن الجزائرية لم تكن معروفة قبل الاحتلال الفرنسي لدى المؤرخين والمثقفين الجزائريين. ---17- في جوان 1556م زحف صالح رايس بسفنه إلى تامنتفوست لينتظر وصول الأسطول

العثماني، من أجل تحرير مدينة وهران والمسرى الكبير، لكنّه توفي على إثر الوباء ، فاختار الأنكشاريُّون بالإجماع حسن قورصو الذي كان قائدا عمّا للجيش، وهو أحد عبيد صالح رايس، وأصله من كورسيكا، فسار إلى وهران من أجل تحريرها، لكن العلج علي جاء بأمر من السُّلطان العثماني يأمر بالانسحاب من وهران، فعاد حسن قورصو إلى الجَزائر إلى سبتمبر 1556م، لكنَّ الأمر جاء بتولية الباشا محمد تكلرلي الذي وصل من طرابلس، فرفض الانكشارية باشويته، لذلك شرع في تصفية خصومه وقام بقتل حسن قورصو. يُنظر: صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، الجزائر خلال الحكم التري، ط1، قسنطينة، دار الألمعية للنشر والتوزيع: قسنطينة، 2012م، صص124-128. ---18- يرى صالح عبّاد أن الغرض من الأمر برفع الحصار عن وهران، هو خوف اسطمبول من تزايد نفوذ الانكشارية بالجزائر، وانفصالهم عن الخلافة العثمانية. صالح عباد، المرجع السّابق، ص126.
19- تولى حسن بن خير الدّين للمرة الثانية سنة 964هـ/1556م. ابن المفتي، المصدر السّابق، ص40.---20- المُوافق لـ7ماي 1563م.---21- في 5فيفري 1563 خرج حسن باشا من الجزائر على رأس جيش ضخم، مجهّز أتمّ التّجهيز، وحاول تحرير وهرانم، فهجم على المرسى الكبير بعد أن استولوا على قلعة القدّيسين، لكنّ محاولاتهم باءت بالفشل، ليُنهي حسن بن خير الدين حصاره بعد أن تكبّدت قوّاته خسائر كبيرة، على إثر وصول أسطول إسباني يوم 8جوان تحت قيادة أندري دوريا. صالح عباد، المرجع السّابق، ص136. ---22- قاد إبراهيم خوجة حملةً إلى وهران في 22جانفي 1688، لكنّ الإمدادات الإسبانية سُرْعان ما وصلت إلى المدينة فرُفع الحصار. وقد قال أحمد بن سحنون الرّاشدي عن ذلك:((فقد غزاها إبراهيم خوجة ورماها مكن جبل المائدة فلم تَدُر بين يديه من الفتح مائدة)). الراشدي، المصدر السّابق، ص198؛ صالح عباد، المرجع السّابق، ص227.---23- لفعة هو تحريف لكلمة الأفعى فتمّ حذف الألف والبدء باللّام مع تسهيلها وإبدال التّاء بألف مقصورة.---24- تولى الباي شعبان الزناقي عام 1679م، ودامت فترة حكمه مدة ثماني سنوات، وقد قاد حملة كبيرة حشد فيها ثلاثة آلاف رجل ، وفّر لهم ما يلزم من العدّة والذخيرة، وقصد مدينة وهران، لكنّه استشهد بعد أن أصابه أحد رماة بني عامر الموالين للاسبان بسهم. أمّا الباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي فتولى بعد الباي شعبان من سنة 1686 إلى غاية 1733م، وتمكّن من تحرير وهران للمرّة الأولى سنة يوم 20 جانفي 1708م(26 شوال 1119هـ) ثمّ قام بفتح المرسى الكبير في 16 أبريل 1708م. الجامعي، المصدر السّابق، صص96-135؛ محمّد بن ميمون، التحفة المرضيّة في الدّولة البكداشيّة في بلاد الجزائر المحميّة، تحقيق، محمذ بن عبد الكريم، الجزائر، 1972م، صص203-264؛ يحيى بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ، صص52-55---25-نص كلام عبد الرحمن ابن زيد الجامعي((ومن اشهر غزواته هذه التي استطردها الناظم وكانت سنة ثمانية وتسعين وألف وبها استشهد رحمة الله عليه وقد أبدى لك اليوم ..وأظهر من الشجاعة ما يقصر عنه عنترى ابن شدّاد)). المصدر السابق، ص114.---26- فرقة الصبايحية هي فرقة الخيّالة التي تتلقى أوامرها من الأغا رئيس الجيوش البريّة.---27- المصدر نفسه، صص114-115.---28- هي مدينة جزائرية يعود تأسيسها إلى القرن السابع للهجرة الثالث عشر للميلادج، شيّدت من قبل شيوخ مغراوة، وصارت قاعدة لهم، وخلال العهد العثماني ومنذ سنة 1565م صارت مازونة قاعدة بايلك الغرب من الجهة الشرقية بينما تلمسان شكلت قاعدة لهذا البايلك من النواحي الغربية إلى غاية 1706م حين تمّ توحيد القسمين وصارت قلعة بني راشد عاصمة له. يحيى بوعزيز، المرجع السّابق، ص46.---29- يقْصُدُ بُرج ابن زهوة.---30- المُوافق لـ22 ذي الحجّة 1144هـ---31- كانت الحملة بقيادة الدوق مونتيمار ، ونزل الإسبانيون بعين الترك ، في 28 جوان 1732م. أحمد توفيق المدني، المرجع السّابق، ص478.---32- مدريد عاصمة إسبانيا إلى اليوم.---33- قصدُه: إزداد عددُ ما شيّدوه من الأبراج والحُصون.---34- كلمة غير واضحة تتكوّن من حوالي أربعة حُروف.----35- قال يحيى بوعزيز: هل هو اسم لرجل زناتي، أو للرجل الاسباني الذي أشرف على بناء الحصن، أو للشيخ الحمياني الذي ساعد الاسبان على بنائه، وقد تمّ بناء هذا البرج وهذه القلعة الضّخمة عام 1567م. المزاري، المصدر السّابق، ج2ص60.---36- سان قروقري، الرّاشدي، ص208.---37- ويسمى برج اليهودي أسسه الاسبان عام 1509م. بوعزيز، المرجع السّابق، ص88.---38- سماه الراشدي لابونتا لامونا الرّاشدي، ص280.---39- سانتي آقو أو القديس يعقوب.---40- لا كانيانا. المصدر نفسه، ص280.---41- سان بيزرو، المصدر نفسه، ص280.---42- لا ورديا دي اليونس. الرّاشدي، ص208.---43- كوندكت. المصدر نفسه، ص208.---44- سماه الراشدي لالينا. المصدر نفسه، ص208.---45- روساكسا. المصدر نفسه، ص208.---46- بالوارتي. المصدر نفسه، ص208.---47- سمّاه الراشدي سان خوسيف. المصدر نفسه، ص208.---48- سانتنانا. المصدر نفسه، ص208.---49-سان أندريس.الراشدي، ص208.---50- ربما يقصد سان فرناندو. المصدر نفسه، ص208.---51- قال عنه الراشدي: ((وهو مفتاح البلد وقفلها))ن المصدر السّابق، ص207.---52- سان كارلو. المصدر السّابق، ص208.----53- مقابل لبرج العيون ويسمى بأبي بنيقة وهو مطل على الوادي. المصدر

ردمد 2170-1636 ISSN / EISSN 2600–6324 / الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

السّابق، ص207.---54- طورى قوردى.الراشدي، المصدر نفسه، ص209.---55- أبو الحسن علي بن عثمان الملقب بالمنصور, ولد سنة 697هـ/1298م, ولي سنة 731هـ/1331م, وتوفي سنة 752هـ/1351م, بعد ويعتبر من ملوك بني مرين الأقوياء, حيث فتح المغرب الأوسط وتونس, وقضى على الدولتين الزيانية والحفصية, ثم انهزم بالقيروان, ونازعه أبنه أبو عنان الملك, إلى أن أذعن أبو الحسن وبايع ابنه, وتوفي بعدها قليلا إثر مرض ألم به. إبراهيم حركات, المرجع السّابق، ج2صص36-43.---56- تمّ طردهم في أبريل 1669م من طرف الحاكم ماركيز ديل لوس فيليز. صالح عباد، المرجع السّابق، ص235.---57- الراشدي، المصدر السّابق، ص218.---58- في الثغر الجماني، جاويشه.---59- يعني أنّ النّاس بدأوا في الاستدلال بخواص الحروف على قرب فتح مدينة وهران، وعلم الحروف وأسرارها من العلوم التي اشتغل بها النّاس بعد ذيوع التصّوف واستحكام الخرافة في عقول النّاس.----60- هو صهر الباي محمّد الكبير، وكان الباي يحبّه ويقدّمه في شتّى أموره، وأثنى عليه الرّاشدي كثيرا، وذكر فضله وعلمه وزواجه بابنة الباي. المصدر السّابق، ص223.---61- بنو زروال أصلهم من صنهاجة كانوا بجبل سريف المتصل بجبال غمارة ويبدوا أنّهم استقرّوا في مرتفعات الظّهرة بمستغانم حيث عُرفت خلال العهد العُثماني بأغاليك بني زروال. ابن خلدون، 275/6.---62- سلاح متفجّر.---63- يُشير المؤلّف إلى كثرة المتطوّعين غير العارفين بفنون القتال والمدفوعين بحماسة شديدة دون معرفة ودراية بشؤون الحرب.---64- أي: مخزون البارود كان قليلا.---65- هو اختصار لقولنا: "مقاتل في من سبيل الله"، وهو هنا الفدائي أو المرابط.---66- هو الشيخ السيّد محمّد بن علي الشّارف المازوني، وقد قدم هو وولده الشيخ هني وأخوه محمّد في نحو مائتي طالب. الراشدي، المصدر السّابق، صص241-242.---67- يقصد عائلات.---68- انتهج الباي محمّد الكبير هذه السياسة حتى يعمّر السّهل المقابل لمدينة وهران من الناحية الجنوبية الغربية، وقد اتّصلت الخيام من سيدي معروف التّابعة حاليا لبدية سيدي الشّحمي إلى البريدية التّابعة حاليا لبلدية بوتليليس، وهو ما ساهم في تشديد الحصار على الحامية الإسبانية.

69-أبو عبد الله السيّد محمّد بن الموفّق بن محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد بن محمّد المشهور بأبي جلال، رحل إلى فاس وتعلّم بها، وعاد إلى بلده وبعدها سافر نحو الحجاز ولقي علماءها ثمّ عاد إلى معسكر. أما الطاهر بن حواء فكان قاضيا بمعسكر، وكان شيخا جليلا واستشهد في إحدى معارك الطّلبة ضدّ الإسبان وهران. الراشدي، المصدر السّابق، صص235-247.

70- مسرقين أو مسرغين هي بلدية تابعة لدائرة بوتليليس، وبها وقعت معركة مسرغين ضدّ الإسبان في 06-06-1507م، والتي تكبّد فيها الإسبان خسائر فادحة. ومسرغين قد يكون إسم لقبيلة بني سرغين من بني توجين الزناتيّة. ابن خلدون، المصدر السّابق، ج6ص20. ---71- (كلمة غير واضحة بقدر أربع حروف).---72- قصده غابات العمالة.---73- الذين يقومون باستخراج البارود وتصميمه.---74- وتكتب فيجيج أو فيكيك وهي مجموعة من القرى (القصور) التي تقع جنوب وجدة بحوالي 360 كلم، حيث استقرّت فروع معقلية وبعض الفرق البربرية. محمّد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديّين، منشورات دار المغرب للتأليف والنشر، دار فضالة: الرباط، 1978، ج2صص510-511.---75- الطّبجيّة هم المتخصّصون في المدفعيّة.

76- ذكر عقبة بن خدّة محمّد بن الأمير عبد القادر أثناء حديثه عن المارشال بيجو، ويبدو أنّها تقع بواد الحمام بمعسكر. حيثُ يوجد هناك أولاد بن خدّة.---77- كلمة غير واضحة تتكون من ثلاثة حروف.---78- هي بلدية الكرمة التي كانت تُسمّى بكرمة مسولان.---79- عند الراشدي سبعة وثلاثين رمانة. المصدر نفسه، ص290.---80- ذكر الشروط يحيى بوعزيز. المرجع، ص.63

81- هي إحدى فروع مغرواة وكان لها نفوذ في منطقة وادي جر بمتيجة الغربية أي في المساحة الممتدة بين العفرون وبومدفع .

82- فراغ قدر خمسة حروف.---83- في المخطوط: كانوا كان مع شطب كلمة كانوا. ---84- تولى سنة 1205هـ . الزياني، المصدر السّابق، ص247.---85- غير مفهومة قدر خمسة حروف.---86- بني في سنة 1797م يقع على الضفة اليمنى لوادي الرحى عند شارع عمر بوتخيل (شارع فيليب سابقا) قبالة قصر الباي، وتمّ الانتهاء منه سنة 1210هـ/1796م. المنجزات المعمارية للباي محمد الكبير في مدينة وهران. الزياني، المصدر السّابق، ص216.---87-ربما يقصد جامع محمد بن عثمان الكبير الذي أنشئ على يسارضفة وادي الرحى بنهج النابلسي حاليا. علي بوتشيشة، المنجزات المعمارية للباي محمّد الكبير في مدينة وهران، عصور الجديدة، العدد 7-8، 1433-1434هـ/2012-2013م، صص214-231، ص221.